

1984

(الجزء الأول)

بقلم : چورج أورويل
ترجمة وإعداد :
د. أحمد خالد توفيق

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدِّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلف



(مزرعة الحيوانات) رواية مجدودة الحظ ، فائقة الشهرة بالنسبة لكل دارسى اللغة الإنجليزية فى العالم ، برغم صغر حجمها الذى يقترب نوعًا من حجم هذا الكتيب ..

من قرءوا القصة يعرفون جيدًا أنها رؤية سياسية جريئة ، تمَّ وضعها فى قالب رمزى ساخر أقرب إلى قصص الأطفال ، يناقش ما يمكن أن يحدث فى مزرعة ثارت الحيوانات فيها واستولت عليها .. على اعتبار أن خيرات الحيوانات للحيوانات ، وتسود شعارات جميلة مثل (كل الحيوانات متساوية) و(قدمان سيئ .. أربع أقدام جيد) .. ويرينا (أورويل) الأنماط الثلاثة التى تولد فى الثورات : المنتمى واللامنتمى والمتسلل .. والتى عرفناها مرارًا من العظيم (نجيب محفوظ) فى قصصه .. إن الخنازير تتسلل إلى السلطة بذكائها الحاد ، وتدريجيًا تنجح فى الاستيلاء على خيرات المزرعة ، بينما

هى لا تكف بالأرقام عن إقناع باقى الحيوانات الساذجة بـأن الأمـور تتحسن ، وأن عليهـا أن تعمل أكثر .. ولا ندرى متـى ولا كيف تعلمت الخنازير المشى على قدمين ، ولا متى تغير الشعار إلى (كل الحيوانات متساوية ، لكن بعضها متساو أكثر) !

قدمت دار (أخبار اليوم) قصة (مزرعة الحيوانات) من ترجمة الأستاذ (عبد الحميد الكاتب) ، فى (كتاب اليوم) رقم 145 ، مع مقدمة طويلة ممتازة عن الكاتب وفكره ، ولهـذا لم نحـاول ترجمتهـا : فسلسلتنا هذه كمـا قلنـا تحـاول سـد الثغرات التى نسيها البناءون العظام السابقون فى الجـدار ، ولا تحاول بناءه من جديد !

★ ★ ★

ولد (جورج أورويل George Orwell) ـ أو (أريك أرثر بلير) ـ عام 1903 فى البنغال بالهند ، لأن أبـاه كـان موظفًا فى الحكومة البريطانيـة هنـاك .. وبعد ولادتـه بعام انتقلت الأم إلى إنجلترا .. وقد بدأ الكتابة فى سـن مبكـرة ، وإن لـم يشعر بميل كثير نحو حياة المدرسة .

عـام 1922 سـافر (أورويل) إلى (بورما) ليعمـل فى إدارة الشرطة ، وهناك بدأ يفهم أن الاستعمار البريطانى عمل قبيـح فاستقال مـن العمـل ، وعـاد إلى أوروبا فقيرًا حيث قرر أن

يكسب عيشه من الكتابة وأطلق علـى نفسـه اسم (جـورج أورويل) .. ونشر كتابه الكبير (أيام فى بورما ـ 1934) ..

مال إلى الاتجاه الاشتراكى وسافر لأسبانيا ليكتب عن حربهـا الأهلية ، ويقاتل مع العمال الماركسيين .. وقد نال من جراء هذا جرحًا فى عنقه .. وقد تعلم من هـذه الحرب أن يكره الشيوعية ويفضل الاشتراكية بمفهومها الإنجليزى ، وقد كتب عن هذه الفترة (تحية لكاتالونيا ـ 1938) ، ولسوف نجـد نفس المقت للنظم القمعية ـ الشيوعية بالذات ـ فى قصصه التالية ..

فى الحرب العالمية الثانية عمل مراسلاً لمحطة (بى بى سى) ، وفى نهاية الحرب كتب رائعتـه (مزرعـة الحيوانـات) .. كـانت هذه القصة فاتحة الخير له .. وكـان نجاحـه السـاحق الآخر هو (1984) ، لكنه لم يعش ليرى هذا النجـاح السـاحق .. وفى العام 1949 توفى بالـدرن ..

★ ★ ★

روايـة اليوم شـهيرة جدًا ، وقد تركت علامـة دائمـة فـى الأدب والسياسة العالميين .. إنهـا صرخة ضد القمع والحكـم الشمولى ، وهى مليئة بالنبوءات التى توشك على أن تتحقق حرفيًا (نعم كانت نبوءات وقت كتابتهـا لأن العام 1984 كان

بعد أربعين سنة) ، ولسوف نشم رائحتها القوية فى أعمال تالية نذكر منها (451 فهرنهايت ـ راى برادبورى) و(الرجل الراكض ـ ستيفن كينج) و(البرتقالة الميكانيكية ـ آرثر بيرجس) و(عالم جديد رائع ـ ألدوس هكسلى) وربما فيلم (النائم) لـ (وودى الين) ، وقد قدمنا القصتين الأولى والثانية فى هذه السلسلة بالذات ..

لا أجد اليوم تعليقًا على هذه القصة سوى ما كتبه الدكتور (جلال أمين)(*) عام 1991 :

« شاهدت قناة CNN الأمريكية فوجدت فيها ما يجسم ما أكرهه فى وسائل الإعلام الحديثة : الكفاءة منقطعة النظير فى الكذب ، والإلحاح المستمر على الناس لحملهم على تصديق ما لا يجب أن يصدق ، والبرود وتضخيم أتفه الأخبار كأنها بالغة الأهمية ، وتجاهل الأخبار المهمة فعلاً ، ووجوه المذيعين تؤكد شعورى بأننى لست أمام كائنات بشرية بل هى وجوه من شمع تتحرك شفاهها طبقًا لنظام مبرمج سلفًا ، ويستهدف لا الإعلام بل غسيل المخ أو بالأحرى تلويثه .

« لكن هذا أكد لى أن ما توقعه (جورج أورويل) قد

(★) (العرب ونكبة الكويت) .. مكتبة (مدبولى) .. 1991

تحقق بالفعل .. إنه حكى فى قصته (1984) عن أشياء مماثلة مما كان يقوم به البطل الذى كان يعمل فى وزارة الحقيقة (ما يعادل وزارة الإعلام) فقد كان عمله إبدال صورة بأخرى أو اسم باسم .. بل إن (أورويل) ذهب أبعد من ذلك فافترض وجود « لغة جديدة » .. تتعرض فيها بعض الكلمات لتغيير أساسى فى معناها بحيث تقبل المتناقضات كأنها ممكنة .. تذكرت هذا حين سمعت تلك العبارة الرائعة (نيران صديقة) Friendly fire تمييزًا عن حالة الموت على يد عدو ...

« قال (أورويل) أيضًا إن من ملامح اللغة الجديدة الاختصار الشديد فى كتابة كثير من الكلمات ، حين يراد إخفاء حقيقة لتجنب المشاعر التى يثيرها ذكر الكلمات كاملة .. فأمريكا اليوم تستخدم KIA وWIA وMIA للدلالة على (مقتول فى أثناء العمليات) و(مجروح فى أثناء العمليات) و(مفقود فى أثناء العمليات) بالترتيب .. كما يستخدم مصطلح TO للإشارة إلى (مسرح العمليات) كأننا بصدد مسرحية للتسلية .

« لقد تعذب صفوة الناس الذين يملكون القدرة على مشاهدة CNN وفهم لغتها الإنجليزية ، بينما لم يشعر البسطاء بشىء ، وهو يماثل نبوءة (أورويل) حين قال : إن عامة الناس

(البروليتاريا) هم وحدهم الذين يحتفظون بقواهم العقلية بسبب عجزهم عن الفهم .. لقد بلعوا كل شىء ولم يلحقهم الضرر من ذلك .. لأن ما دخل أمعدتهم خرج منها دون أن يترك أثرًا ، وكأنه حبة ذرة تمر بجسد عصفور وتغادره دون أن تهضمه .. »

ملحوظة أخيرة هى شكرى للصديقة السكندرية (مارى فكتور) التى اقترحت ترجمة هذه الرواية فى المنتدى ، فالحقيقة أننى كنت قد نسيتها تمامًا برغم أهميتها ـ الرواية لا الصديقة طبعًا ! ـ وبرغم أنها كانت فى ذهنى منذ توليت أمر هذه السلسلة ..

يكفى الكلام عن الرواية ، ولنقرأ الرواية ذاتها التى سنقدمها فى جزأين ، بسبب أهميتها وصعوبة تلخيصها ..

د. أحمد خالد

الفصل الأول

1

كان يومًا مشرقًا من إبريل ، والساعات تدق الواحدة بعد الظهر .. حين اندفع (ونستون سميث) وقد دفن ذقنه فى صدره فى محاولة لتفادى الريح العاتية ، عبر الأبواب الزجاجية لـ (فكتوريا مانشنز) ، لكن ليس بالسرعة الكافية كى يتفادى الغبار الذى يدخل معه .

كانت للردهة رائحة الكرنب المسلوق والأبسطة القديمة ، وفى نهايتها كان هناك ملصق ملون على الجدار .. كان عليه وجه عملاق عرضه يفوق المتر .. وجه رجل فى الخامسة والأربعين له شارب أسود كث وملامح بارزة وسيمة .. اتجه (ونستون) للدرج فلم يكن المصعد ذا نفع .. فهو لم يكن يعمل إلا نادرًا وحاليًا التيار الكهربى منقطع فى ساعات النهار .. فهذا جزء من الترتيبات الاقتصادية لـ (أسبوع المقت) .

كان ارتفاع البناية سبعة أدوار ، وقد اضطر (ونستون)

ابن التاسعة والثلاثين عامًا إلى الصعود على مهل ، ملتقطًا أنفاسه من حين لآخر .. وفى كل طابق كان يرى الوجه العملاق ينظر له ، فقد كانت الصورة معدة كى تلاحقك عيناها حيثما تحركت .

«الأخ الأكبر يراقبك » .. كذا كان يقول التعليق تحتها .

داخل البناية كان هناك صوت لذيذ يقرأ مجموعة من الأرقام تتعلق ربما بحديد التسليح .. جاء الصوت من صفيحة معدنية مستطيلة كأنها مرآة معتمة على الجدار الأيمن .. إن هذه الأداة التى تدعى (تليسكرين) يمكن تعتيمها لكن ما من طريقة لإغلاقها بالكامل .

تحرك (ونستون) إلى النوافذ .. نحيلاً ضئيلاً تبدو قلة جسده بوضوح فى الأوفرول الأزرق الذى هو زى الحزب .. كان شعره أشقر ووجهه أحمر قانيًا وجلده خشنًا من فعل الصابون الردىء وموسى الحلاقة الثلم ، وبرد الشتاء الذى انتهى حالاً ..

وفى الخارج ـ عبر زجاج النافذة المغلق ـ بدا العالم باردًا .. دوامات صغيرة تبعثر التراب فى كل مكان ، وبرغم أن الشمس كانت ساطعة فإن كل شىء بدا بلا لون .. إلا الملصقات ..

إن الرجل كث الشارب كان ينظر من كل ركن .. والتعليق هو «الأخ الأكبر يراقبك » ..

وفى الخارج حلقت هليكوبتر فوق الأسطح .. حامت للحظات كأنها ذبابة زرقاء ثم ابتعدت .. كانت هذه دورية الشرطة تتلصَّص على نوافذ الناس .. لم تكن هذه الدوريات خطرة على كل حال .. الخطر كان (شرطة الأفكار) ..

ومن (التليسكرين) كان الصوت يتحدث عن حديد التسليح وإنجازات الخطة الثلاثية التاسعة .. كانت هذه الشاشة تستقبل أى صوت يصنعه (ونستون) فوق الهمس فضلاً عن رؤيته .. لا يمكنك أن تعرف أبدًا متى يتم سماعك ورؤيتك .. إن معرفة اللحظة التى يقتحم فيها (بوليس الأفكار) بيتك لأمر خاضع للحدس .. وعليك أن تحول العادة إلى غريزة وتقبل حقيقة أنك مراقب فى كل وقت ، وكل حركة تقوم بها يتم فحصها ما لم تكن فى الظلام .

إنه على بعد كيلومتر من (وزارة الحقيقة) الشامخة العالية فوق الأفق .. مقر عمله .. قال لنفسه :

ـ « هذه لندن .. المدينة الأساسية فى المهبط رقم واحد .. ثالثة أهم محافظات أوشيانيا .. »

(وزارة الحقيقة) .. أو (الوقيقة) حسب اللغة الجديدة .. كانت تختلف عن أى جسم يراه فى الأفق .. كانت مبنى عملاقًا هرميًا من الخرسانة البيضاء يشمخ 300 متر فى الهواء .. وعلى جداره كانت الشعارات الثلاثة للحرب :

الحرب هى السلام

الحرية هى العبودية

الجهل هو القـــوة

قيل إن (وزارة الحقيقة) تحوى ثلاثة آلاف غرفة فوق الأرض ومثلها تحتها .. وكان هناك ثلاثة مبان أخرى مماثلة تمثل أركان الحكومة التى تقبع المدينة متقزمة تحتها .. (وزارة الحقيقة) المسئولة عن الأخبار والتعليم والفنون والترفيه .. و(وزارة السلام) المهتمة بالحرب .. و(وزارة الحب) التى تحافظ على القانون والنظام ، و(وزارة الوفرة) المسئولة عن الأمور الاقتصادية ، وباللغة الجديدة كان اسم هذه الوزارات (الوقيقة) .. (الولام) .. (الوب) .. (الورة) ..

(وزارة الحب) كانت هى المرعبة حقًا .. فلم تكن لها أية نافذة ، وكان من المستحيل الوصول إليها إلا عبر الأسلاك الشائكة .. وأبراج المراقبة المسلحة .

رسم (ونستون) على وجهه تعبير التفاؤل ، وهو أكثر التعبيرات أمانًا حينما تواجه (التليسكرين) .. لقد ترك الوزارة فى هذا الوقت ، وهكذا ضحى بوجبة الغداء فى المقصف ، بينما لم يكن فى المطبخ إلا خبز أسود يجب أن يبقيه لإفطار غد .. تناول من على الرف زجاجة من سائل عديم اللون كتب عليه (جن النصر) له رائحة زيتية لزجة .. صب لنفسه مقدار جرعة وشربها مرة واحدة كأنما هو دواء .. سالت الدموع من عينيه ، فالسائل كان كحمض النيتريك .. لكن على الفأور تلاشى الحريق فى معدته وبدأ يشعر براحة .

تناول لفافة تبغ من علبة كتب عليها (تبغ النصر) فأشعل واحدة .. ثم دخل إلى غرفة المعيشة حيث تناول من منضدة صغيرة حامل ريشة وزجاجة حبر وكتابًا صغيرًا مغلقًا .

لسبب ما لم تكن الشاشة فى هذه الغرفة فى وضعها المعتاد .. كانت تواجه النافذة لا الغرفة .. هكذا كان بعيدًا عن مجال الشاشة .. كانت جغرافية الغرفة غير المعتادة هى ما أوحى له بهذا الذى سيقوم به .

كان الكتاب جميلاً .. صفحاته مصفرة نوعًا من القدم ونوع ورقه لم يعد يستعمل منذ أربعين عامًا ، لكنه كان يعرف أن

الكتاب أقدم من هذا .. لقد وجده فى متجر عاديات فى أحد أجزاء المدينة ، فشعر برغبة ملحة لاقتنائه .. إن رجال الحزب لا يسمح لهم بارتياد المحلات العادية ، لكن هذه القاعدة لم تكن صارمة .. لهذا نظر ذات اليمين واليسار ثم دخل ليبتاع الكتاب بدولارين ونصف ..

لم يدر وقتها لماذا اشترى الكتاب وقد عاد به شاعرًا بالذنب ، حتى صار الكتاب وسواسًا مقيمًا .

كان ينوى أن يبدأ كتابة مذكرات .. لم يكن هذا مخالفًا للقانون (لم يكن هناك شىء مخالف للقانون لأنه لم تعد هناك قوانين) لكنه كان متأكدًا من أن اكتشاف الأمر يعنى موته .

كان القلم فى هذا العصر أداة أثرية لا تستعمل حتى فى التوقيع .. كان يشعر أن هذا الورق الأصفر الجميل يستحق أن تكتب عليه بريشة لا أن تخدشه بقلم حبر .. ولم يكن قد اعتاد الكتابة لأنه يملى كل شىء على آلة الإملاء والكتابة ، لكن هذا بالطبع كان مستحيلاً الآن ..

تردد قليلاً قبل أن يضع العلامة على الورق .. وبخط صغير أخرق كتب :

- « 4 إبريل .. 1984 .. »

وتراجع للوراء وقد غمره إحساس بانعدام الحيلة تمامًا .. لم يكن واثقًا من أن هذا هو العام 1984 .. فقد صار مستحيلاً فى هذا الزمن تحديد العام بدقة .

التليسكرين الآن تعزف موسيقا عسكرية .. كان من الغريب أنه لم يفقد القدرة ٧على التعبير عن نفسه فحسب ، بل إنه نسى تمامًا ما كان يزمع قوله .. منذ أسابيع يتأهب لهذه اللحظة ، ولم يحسب أنه يحتاج إلى شىء غير الشجاعة .. كل ما عليه أن ينقل إلى الورق ذلك الحوار المنفرد الذى يدور فى رأسه منذ أعوام .

تمر الثوانى وهو لا يعى شيئًا إلا فراغ الصفحة تمامًا .

فجأة بدأ يكتب فى هلع تام ، لا يكاد تقريبًا يعى ما الذى يكتبه .. كتابته الطفولية الصغيرة تصعد وتهبط فى الصفحة :

« الرابع من إبريل 1984 .. ذهبت للسينما .. كلها أفلام عن الحرب .. كان هناك فيلم جيد عن سفينة مليئة باللاجئين يتم تدميرها فى البحر المتوسط .. استمتع الناس بإطلاق الرصاص على الرجل البدين الذى يحاول الهرب ، بينما طائرة هليكوبتر تطارده .. تراه من وجهة نظر المدفع ،

ثم يمتلئ الرجل بالثقوب ويستحيل الماء من حوله قرمزيًا .. ثم غرق كأنما الثقوب أدخلت الماء فيه .. هلل الناس وصفقوا حين اختفى تحت الماء .. وكان هناك قارب فيه امرأة عجوز تمسك بالمجداف وحولها مجموعة من الأطفال .. تحلق الهليكوبتر حول القارب فيصرخ الصبى ويدفن رأسه فى صدرها كأنما يحاول أن يتوارى داخلها .. تحاول المرأة أن تهدئه ، لكنها زرقاء من الخوف هى الأخرى .. هنا ألقت الهليكوبتر بقنبلة على القارب ، فتعالى الوهج وتحول القارب إلى أعواد ثقاب .. هنا جاءت لقطة ممتازة لذراع الطفل ترتفع لأعلى فى السماء ، فلابد أن طائرة هليكوبتر مزودة بكاميرا فى مقدمتها هى التى تابعت هذه الذراع .. تعالى التصفيق من مقاعد رجال الحزب ، لكن امرأة من بين مقاعد (البروليتاريا)(*) راحت تصرخ وتكرر أنه ما كان عليهم عرض هذا أمام الأطفال .. لايجب .. ليس صوابًا .. لايجب أن يراه الأطفال .. حتى جاء البوليس وأخذها .. لكنى لا أحسب شيئًا حدث لها .. فلاقيمة لرأى العامة .. »

وتوقف (ونستون) جزئيًا لأن أصابعه تقلصت .. لكن

(★) البروليتاريا هى الطبقات المتدنية الفقيرة التى لا تملك شيئاً سوى جهدها العضلى لتبيعه ..

كذلك لأنه لم يدر ما جعله يسكب كل هذا الهراء .. ولأنه تذكر فجأة الحادث الأهم .. الشىء الذى جعله يقرر الذهاب إلى البيت والكتابة .

حدث هذا صباح اليوم فى الوزارة ..

كانت الحادية عشرة صباحًا ، فى إدارة السجلات حيث يعمل .. كانوا يجمعون المقاعد فى الوسط أمام الشاشة العملاقة تأهبًا لبرنامج (مقت الدقيقتين) . كان قد اتخذ مكانه فى الوسط حين دخل شخصان يعرفهما بالنظر فقط بشكل مفاجئ إلى القاعة .

واحد منهما كان الفتاة التى كان يلقاها كثيرًا تجتاز الردهة .. لم يعرف اسمها لكن كان يعرف أنها تعمل فى (إدارة الخيال) .. أحيانًا كان يراها ملوثة اليدين بالزيت وهى ذاهبة لإصلاح إحدى ماكينات كتابة القصص .. فتاة رياضية سوداء الشعر فى السابعة والعشرين من عمرها ، ينتشر النمش على خديها .. وكان (ونستون) قد كرهها بمجرد أن رآها أول مرة .. كان هذا بسبب جو ملاعب الهوكى والحمامات الباردة ونظافة الدماغ الذى تبعثه من حولها .. كان يمقت كل النساء وبخاصة الشابات الجميلات .. هاته الفتيات كن دومًا الأكثر تعصبًا للحزب .. يبتلعن الشعارات الدعائية .. إنهن الجاسوسات الهاويات ..

لكن هذه الفتاة كانت توحى بأنها أكثر خطرًا من الأخريات .. لقد نظرت له نظرة ثاقبة اخترقته وأوقعت فى قلبه الرعب .. وعلى الفور بدأت الفكرة تخطر له .. لابد أنها عميلة لدى (شرطة الأفكار) .. هذا غير محتمل لكنه ظل يشعر بعدم الراحة .

الآخر كان رجلاً اسمه (أوبرايان) .. وهو عضو فى دوائر الحزب الداخلية ، ويتولى منصبًا يبدو أنه مهم جدًا لدرجة أن (ونستون) لا يملك إلا فكرة باهتة عن حقيقته .. وقد ساد الصمت المكان عندما رأى الناس عضوًا مهمًا يدنو .. كان الرجل قصيرًا له وجه غليظ وحشى مرح .. وبرغم شكله المرعب فقد كان فى أسلوبه شىء ما خلاب .. كانت له طريقة معينة فى إعادة تثبيت عويناته على أنفه توحى بالتحضر بشكل غريب .. كانت تذكرك بأحد نبلاء القرن الثامن عشر يقدم صندوق ستعوطه .. لكن ما كان يجذب (ونستون) له هو أنك تشعر بأنه ليس مخلصًا للحزب إلى هذا الحد .. كأنه شخص يمكنك أن تتكلم معه لو اختليت به بعض الوقت بعيدًا عن التليسكرين .

بعد قليل تعالى صوت مفزع طاحن من التليسكرين ، كأنها آلة عملاقة تدور من دون زيت .. كانت ضوضاء تجعل أسنانك تصطك وشعر مؤخرة رأسك ينتصب .. لقد بدأ الكره ..

كالعادة ظهر وجه (إمانويل جولدشتاين) عدو الشعب على الشاشة .. ساد الصفير هنا وهناك بين الجالسين .. كان (جولدشتاين) هو المرتد الذى من زمن بعيد (منذ متى؟ لا أحد يذكر) كان من قادة الحزب ، فى مستوى (الأخ الأكبر) نفسه ، ثم تورط فى أنشطة معادية للنظام ، وحكم عليه بالموت لكنه فر بشكل ما .

كان برنامج المقت يختلف يومًا بعد يوم ، لكن ما من مرة لم يكن فيها (جولدشتاين) هو المشهد الرئيس .. كان هو الخائن الأكبر وأول ملوث لنقاء الحزب .

فى مكان ما يعيش ويفرخ تعليماته التخريبية .. ربما عبر البحر .. ربما يحميه سادته الذين يدفعون له .. ربما ـ كما تقول الإشاعات ـ هو فى مخبأ فى (الأوشيانيا) ذاتها .

تقلص حجاب(ونستون) الحاجز ، فما كان يستطيع أن يرى وجه (جولدشتاين) دون أن يشعر بغصة ألم .. كان وجهًا يهوديًا نحيلاً ، حوله هالة من شعر أبيض ، ولحية مدببة كلحية الجدى .. وجه ذكى لكنه يدعو للاحتقار .. يذكرك بوجوه الخراف ..

كان (جولدشتاين) ينفث سمومه ضد الحزب .. يمكن

لأى طفل أن يدرك مدى سخف هذه السموم ، لكن من الممكن أن تخدع واحدًا أقل ذكاء منك .

كان يسىء للأخ الأكبر .. يتكلم عن دكتاتورية الحزب .. كان يطالب بالسلام مع (إيوراسيا) .. بحرية الكلام .. حرية الفكر .. وكان يصرخ بلا انقطاع مدعيًا أن الثورة قد تمت خيانتها .. كل هذا يقوله بطريقته الساخرة التى تحاكى طريقة كلام خطباء الحزب .. لقد كان موضوعًا للكره أكثر من (أيوراسيا) و(إيستاسيا) .. لأن (الأوشيانيا) كانت حين تحارب إحدى هاتين القوتين ، تعقد صلحًا مع الأخرى .

وبرغم أن كره (جولدشتاين) كان يمارس كل يوم .. فإن أفكاره كانت تتسرب بشكل غريب ، والدليل على هذا أنه ما من يوم لم يتم فيه القبض على بعض عملائه بوساطة (شرطة الأفكار) .. كان يقود جيش ظلام واسعًا يدعى (الأخوة) يحاول تدمير الدولة .. كان هناك كلام كذلك عن كتاب مخيف يحوى كل الهرطقات ، كتبه (جولدشتاين) ويتم تناقله سرًا هنا وهناك .

فى الدقيقة التالية بلغ المقت حد الجنون .. راح الناس يثبون فى مقاعدهم ويصرخون محاولين إسكات الصوت القادم من الشاشة .. حتى وجه (أوبرايان) الجامد بدأ يحمر .. وراحت الفتاة سوداء الشعر خلف (ونستون) تصرخ :

ـ « حلوف ! حلوف ! »

وتناولت قاموسًا للغة الجديدة وقذفته فى الشاشة ليضرب أنف (جولدشتاين) .

كان الشىء المخيف فى (مقت الدقيقتين) ليس كونك مرغمًا على المشاركة ، بل كونك عاجزًا تمامًا عن عدم الاندماج فيه .. سرعان ما تجد نفسك وقد تحولت إلى مجنون متعطش للدم ، وبرغم هذا فإن الغضب الذى تشعر به غضب مجرد .. يمكن تحويله من موضوع إلى آخر كأنه لهب قاذف .. لهذا كان غضب (ونستون) يتجه أحيانًا لا إلى (جولدشتاين) بل إلى الأخ الأكبر والحزب و(شرطة الأفكار) .. ثم كان تفكيره ينضم إلى الجمهور من حوله ، عندها كان يشعر بالوله نحو الأخ الأكبر ، ويرتفع هذا الأخير كبرج حام أمام حشود آسيا .. ويبدو (جولدشتاين) برغم وجوده المشكوك فيه أصلاً شريرًا يخرب كل ما فى النظام ..

بل إن (ونستون) استطاع أن يحول كراهيته لتنصب على الفتاة ذات الشعر الأسود الجالسة خلفه .. ثم استطاع أن يفهم سر كراهيته لها .. كان يكرهها لأنها شابة جميلة ولا يمكن أن تكون له أبدًا .

كانت الكراهية تتنامى الآن أكثر فأكثر .. وهنا ـ لحسن

حظ الجميع ـ ذابت الصورة ليعود وجـه (الأخ الأكبر) .. بشاربه الأسود مفعمًا بالقوة والهدوء الغامض .

لم يع أحد ما قاله الأخ الأكبر لأنهـا كانت كلمات تشجيع على الأرجح .. كلمات مما يقـال فـى معمعـة الحـرب .. لاتفهمها لكن يكفيك أن تعرف أنها قيلت .. ثم تلاشى وجـه (الأخ الأكبر) وظهر بحروف سميكة شعار الحزب :

الحرب هى السلام

الحرية هى العبودية

الجهـل هـو القـوة

لكن وجه (الأخ الأكبر) بـدا كأنما ما زال على الشاشـة ، وكأن تأثيره لم يمح من عيون المشاهدين بعد .. وهتفت امرأة وهى تمد يديها إلى الشاشة :

ـ « منقذى !! »

ثم دفنت رأسها بين كفيها وبدا واضحًا أنها تصلى ..

ثم من صفوف الناس تعـالت أصوات تـردد مـا بـدا كأنـه أنشودة بربرية متوحشة : ب .. ب .. ب ...

مع ضرب الأرض بالأقدام .. وكان (ونستون) يندمج مع

الناس فى مشاهدة الفيلم ، لكن هذه الطقوس الوحشية كانت تثير الرعب فى نفسه .. لكنه كان يغنى مـع النـاس .. من المستحيل ألاتفعل هذا .. أن تفعل مثلما يفعل الناس هذا سلوك غريزى ..

لكن عينيه خذلتاه لحظة .. وكانت هذه اللحظة كافية كـى يحدث الشىء ..

للحظة التقت عينـاه بـ (أوبرايـان) .. كـان (أوبرايـان) واقفًا يوشك على تثبيت عويناته على أنفه .. وفى جزء مـن الثانية تلاقت العينان ، وفكر (أوبرايان) : نعم ! لقد عرف ! لقد تبادل الرجلان بالعينين رسالة لامجال للخطأ فيها .. كأن عقليهما مفتوحان والأفكار تخرج من عقل واحد لعقل الآخر ..

بدا كأن (أوبرايان) يفكر : «نعم أنا معك .. لى نفس الرأى .. أعرف مدى كرهك وتقززك .. لكن لاتقلق .. أنا فى صفك .. »

ثم عاد وجه (أوبرايان) غامضًا كوجه الآخرين .

كان هذا كـل شـىء ، حتـى إن (ونستون) بدأ يشـك إن كان قد حدث فعلاً .. لم تكن من تبعات لهذا إلا أنها تحيى فى نفسه أملاً ما فى أن هناك آخرين سواه يعادون الحـزب .. من يدرى ؟ لربما كان ما تقوله الشرطة حقيقيًا .. لربمـا كـانت هناك مؤامرات على النظام حقًا .

عاد إلى مقر عمله وقد نسى كل شىء عن تلك المقابلة بالعينين مع (أوبرايان) .. كان حدثًا تافهًا لكنه ذو أهمية ما فى تلك الوحدة الأليمة التى يعيشها المرء .

وتوقف (ونستون) عن الكتابة .. وتجشأ ..

أعادَ النظر إلى الصفحة .. اكتشف أنه إذ جلس شارد الذهن كان يكتب فى الوقت ذاته .. وكانت كتابة سيئة مرتبكة كسابقتها .. كان قلمه الحبر قد كتب على الصفحة بحروف كبيرة :

« ليسقط الأخ الأكبر ..

ليسقط الأخ الأكبر ..

« ليسقط الأخ الأكبر ..

ليسقط الأخ الأكبر ..

ولم يستطع إلا أن يشعر بالهلع .. كان هذا غريبًا لأن جريمة كتابة هذه الكلمات لا يقل فى خطره عن عملية كتابة المذكرات .. لكنه وجد نفسه مدفوعًا لتمزيق هذه الصفحات .

لم يفعل هذا لأنه كان يعرف أنه عمل بلا جدوى .. فشرطة الأفكار ستظفر به فى كل الأحوال سواء كتب هذه العبارات أم لم يكتبها .

حتى لو لم يكن قد أمسك بالقلم أو لم يبتع الورق ، فالنية كافية .. جريمة التفكير .. جريمة لا يمكن مداراتها للأبد .. ربما تتوارى لفترة .. ربما لأعوام لكنهم سيظفرون بك فى النهاية .

كانت فى الليل دومًا .. الاعتقالات كانت تجرى فى الليل دومًا .

الإيقاظ المفاجئ من النوم واليد الخشنة تهز كتفك ، والأضواء تسطع فى عينك ، والوجوه الصلبة تحيط بمهدك .. وفى أغلب الحالات لا تكون هناك محاكمات .. فقط أنت تختفى ليلا .. اسمك تم رفعه من السجلات وكل ما قمت به قد أزيل .. لقد تلاشيت .. تبخرت .. أبدت ...

أصابته الهستيريا .. بدأ يكتب متعجلاً بلا علامات ترقيم :

ـ « سيطلقون الرصاص علىّ لا أبالى بهذا ، سيطلقون علىّ الرصاص من ظهرى ، لا أبالى ، فليسقط الأخ الأكبر ، هم دائمًا يطلقون الرصاص على مؤخرة العنق لكنى لا أهتم ، فليسقط الأخ الأكبر .. »

فجأة تصلب فى رعب .. هناك من يدق الباب .

بهذه السرعة !! جلس متصلبًا كفأر يأمل أن يرحل القادم بعد محاولة واحدة .. لكن لا .. إن الدق يتوالى .. كان قلبه يخفق كطبلة ، لكن وجهه ـ بفعل العادة ـ كان بلا تعبير .

نهض واتجه متثاقلاً إلى الباب .

* * *

الفصل الثانى

2

إذ وضع يده على المقبض رأى أنه ترك المفكرة مفتوحة على المنضدة .. وقد كتب عليها بخط كبير :

ليسقط الأخ الأكبر ..

كان من الغباء أن يفعل هذا .. لكنه أدرك حتى وهو فى هذا المأزق أنه لا يستطيع أن يغلق الكتاب فيفسد الصفحات بينما الحبر لم يجف بعد ..

هكذا فتح الباب ومعه تنفس الصعداء ..

كانت امرأة شاحبة مجعدة الوجه لها شعر أشعث تقف هناك ..

قالت بصوت رتيب :

ـ « آه يا رفيق .. حسبت أننى سمعتك تدخل .. هلا أتيت لتلقى نظرة على حوض المطبخ .. فقد سد ، و.. »

كانت هى مسز (بارسونز) زوجة جاره .. وكانت كلمة (مسز) لا تلقى ترحابًا فى الحزب .. المفترض أن تطلق على الجميع لقب (رفيق) ، لكنك تستعمل اللفظة لا شعوريًا مع بعض النساء .

كانت فى الثلاثين لكنها تبدو أكبر سنًا .

كانت مهام الإصلاح هذه تضايقه ، لأن (فكتورى مانشنز) كان مجموعةً من الشقق القديمة تمّ بناؤها عام 1930 ، وهى الآن تتهالك .. والإصلاح يعتمد على جمعيات قد تؤجل العمل عامين أو أكثر .

قالت له المرأة :

ـ « طبعًا هذا لأن (توم) ليس هنا .. »

كانت شقة آل (بارسونز) أكبر من شقته وقذرة بشكل ما .. كل شىء مهشم كأنما زار المكان حيوان عملاق متوحش .. ثياب ملقاة على الأرض وكتب مثنية .. وعلى الجدار ملصق عملاق للأخ الأكبر .. رائحة الكرنب المسلوق المميزة للبناية كلها .

كان حوض المطبخ مليئًا حتى حافته بسائل أخضر رغوى له رائحة الكرنب الكريهة .. تفحص (ونستون) كوع الحوض .. كان يكره استعمال يديه ويكره الانحناء الذى كان يجعله يسعل .. وقالت السيدة (بارسونز) :

ـ « طبعًا لو كان (توم) فى المنزل لتولى الأمر .. إنه يحب هذه الأشياء .. إن (توم) ... »

كانت عندها عادة قطع الجمل فى منتصفها .

(بارسونز) كان زميل (ونستون) فى العمل فى (وزارة الصحة) .. كان رجلاً بدينًا نشطًا غبيًا إلى حد الشلل .. كتلة من الحماسة البلهاء .. واحدًا من المخلصين المؤمنين الذين على ثباتهم يعتمد الحزبُ .. وكان عمله فى الوزارة لايحتاج إلى ذكاء ، لكنه كان متميزًا فى لجنة الرياضات ..

قال لها وهو يعبث بالصامولة على الكوع :

ـ « هل لديك مفتاح إنجليزى ؟ »

ـ « مفتاح إنجليزى ؟ سأرى .. ربما الأطفال ... »

فك (ونستون) الكوع ، وباشمئزاز انتزع الشعر الآدمى الذى سد الماسورة تاركًا الماء يتدفق .. ثم غسل يده بقدر ما استطاع وعاد إلى الحجرة الأخرى .

فجأة سمع صوتًا متوحشًا يقول :

ـ « ارفع يديك !!! »

كان هذا صبيًا فى التاسعة تسلل خلف منضدة ويهدده بدمية مسدس أتوماتيكى .. ومعه أخته الأصغر سنًا .. كلاهما كان يلبس ثياب الجواسيس .. رفع (ونستون) يديه فوق رأسه ولكن من دون راحة .. كان تصرف الطفل عدوانيًا إلى حد أنك لاتشعر بأنه يلعب ..

ـ « أنت خائن ! أنت مجرم أفكار ! سأقتلك ! سأبخرك !! سأرسلك إلى مناجم الملح ! »

ثم راح الاثنان يتواثبان حوله صارخين :

ـ « خائن ! خائن ! »

وفكر (ونستون) : من حسن الحظ أن المسدس الذى يحملانه ليس حقيقيًا ..

قالت له الأم :

ـ « إنهما عصبيان لأننى لم آخذهما ليريا الشنق .. أنا مشغولة جدًا ، و(توم) ليس هنا ليأخذهما .. »

زأر الصبى :

ـ « لماذا لانذهب لنرى الشنق ؟ »

بعض سجناء (أيوراسيا) الذين اتهموا بجرائم حرب ، قد تقرر شنقهم الليلة فى الحديقة .. وتذكر (ونستون) أن هذا مشهد محبب يتم مرة على الأقل كل شهر .

وعاد (ونستون) إلى شقته .

هناك مر بالتليسكرين ، وجلس إلى المنضدة من جديد .

كانت الموسيقا من التليسكرين قد توقفت ، لكن دوى صوت عسكرى يقرأ فى استمتاع وحشى بيانًا يصف القوات الحربية فى القلعة العائمة التى رست بين (أيسلاند) وجزر (فارو) .

وفكر (ونستون) .. مع هذين الطفلين الشقيين لا بد أن

الأم تعيش فى هلع .. عام أو عامان ثم يراقب هذان الطفلان أمهما بحثًا عن علامات عدم الولاء للنظام .. كل أطفال اليوم صاروا مرعبين .. كلهم يعبدون الحزب وكل ما يمت له بصلة .. الاستعراضات .. الموسيقا .. عبادة الأخ الأكبر .. كل عنف فى الأطفال يخرج للعالم الخارجى ، وقد صار شيئًا معتادًا بالنسبة لكل من تجاوز الثلاثين من العمر أن يخاف أطفاله ..والحقيقة أن مجلة (تايمز) لم يمر أسبوع إلا وتكلمت عن جاسوس (بطل صغير كما تصفه المجلة) سمع ملحوظة مشبوهة فأبلغ شرطة الأفكار عن أبويه .

تناول القلم وراح يفكر فيما إذا كان بوسعه أن يكتب شيئًا آخر .. هنا وجد أنه يفكر فى (أوبرايان) ثانية ..

حتى بعد تبادل النظرات هذا الصباح لم يستطع أن يجزم إن كان (أوبرايان) صديقًا أم عدوًا ...

وصمت الصوت من التليسكرين ، ودوى صوت نفير واضح عذب فى الهواء الساكن .. وواصل الصوت فى خشونة :

ـ « انتباه ! انتباه من فضلكم ! جاءنا الآن من جبهة

(مالابار) ما يلى .. قواتنا فى جنوب الهند انتصرت نصرًا مؤزرًا .. ومن سلطتى أن أخبركم أن هذا النصر قد قرب نهاية الحرب كثيرًا .. الآن إليكم الأخبار .. »

فكر (ونستون) .. لا بد من أخبار سيئة .. وبالفعل .. بعد وصف مريع لإبادة جيش (أوراسيا) وأرقام مذهلة لمن قتلوا أو أسروا ، جاء الخبر يعلن أنه من الأسبوع القادم سيتم تخفيض حصة الشيكولاته من ثلاثين إلى عشرين جرامًا .

ثم بدأ التليسكرين يقدم نشيد (أوشيانيا .. هذا من أجلك) .. ربما كى يحتفل بالنصر المؤزر أو ينسى الناس ما فقدوه من شيكولاته .. كان واجبه أن يقف فى وضع (انتباه) مصغيًا ، لكن هذا كان مستحيلاً بالنسبة له الآن ..

ومن بعيد سمع دوى انفجار صاروخ .. إن عشرين أو ثلاثين منها تسقط على (لندن) كل أسبوع الآن ..

كان وحيدًا .. الماضى ميت .. والمستقبل لا يمكن تصوره ...

أى شىء يبرهن له على أن هناك كائنًا بشريًا واحدًا فى صفه ؟ وكيف يتأكد من أن سيطرة الحزب لن تدوم للأبد ؟

وكأنما ترد على أسئلته رأى الجمل المكتوبة على جدار وزارة الحقيقة :

الحرب هى السلام

الحرية هى العبودية

الجهل هو القوة

أخرج قطعة عملة من جيبه .. بحروف صغيرة نقشت ذات العبارات على العملة .. وعلى الجانب الآخر ترى رأس الأخ الأكبر .. نفس الشىء على الطوابع وأغلفة الكتب وغلاف علب التبغ .. دائمًا تراقبك العينان ويغلفك الصوت .. لا شىء تمتلكه سوى بضعة سنتيمترات مكعبة داخل جمجمتك .

كان شبحًا وحيدًا يتكلم عن حقائق لن يسمعها أحد ..

عاد إلى الورق وكتب :

ـ « إلى المستقبل أو الماضى .. إلى زمن كان فيه الفكر حرًا ، والرجال يختلف بعضهم عن البعض ، ولا يعيشون وحدهم .. إلى زمن كانت فيه الحقيقة موجودة وما تم تحقيقه لا يمكن هدمه .. من عصر التشاكل ومن عصر الوحدة ومن عصر التفكير المزدوج الزائف Double think .. تحياتى(*) !

لقد انتهى أمره بالفعل بعدما كتب ما كتب .. كذا فكر .. وفكر فى أن تبعات أى عمل متضمنة فى العمل نفسه .. لذا كتب :

ـ « جريمة التفكير لا تعنى الموت .. إنها الموت ذاته .. »

الآن وقد اعتبر نفسه إنسانًا ميتًا ، بدا من المهم له أن يظل حيًا أطول وقت ممكن .. لقد تلطخ إصبعان من يده اليمنى بالحبر ، وهذا بالضبط هو نوع التفاصيل التى ستفضح

(★) Double think .. هذا مصطلح (أورويلى) دخل اللغة الإنجليزية بعد هذه القصة .. وهذا نموذج من نماذج عديدة أضاف فيها (أورويل) مصطلحات جديدة إلى قواميس اللغة الإنجليزية

أمرك .. شخص ما فى الوزارة (امرأة على الأرجح) سيراها ويتساءل عن سبب انهماكك بالكتابة فى وقت الغداء ، ثم يلمح بذلك للأقسام المختصة .

دخل الحمام وبعناية غسل الحبر بقطعة الصابون الغامقة الخشنة التى تجرح جلدك كالصنفرة .

أخفى المفكرة فى الدرج .. كانت حيلة الشعرة على صفحاتها واضحة جدًا ، لذا وضع على الغلاف ذرة غبار بحيث لا بد أن تسقط لو أن أحدهم فتح هذه المفكرة .

★ ★ ★

الفصل الثالث

3

كان (ونستون) يحلم بأمه ..

لا بد أنه كان فى سن الحادية عشرة أو الثانية عشرة ، حين اختفت أمه .. كانت امرأة طويلة القامة متخشبة صموتًا بطيئة الحركة ، ولها شعر أشقر رائع .. أما أبوه فكان أسمر نحيلاً يضع عوينات .

فى تلك اللحظة كان يرى أمه تجلس فى موضع ما تحته وأخته الصغيرة بين ذراعيها .. لم يتذكر أخته على الإطلاق إلا كرضيعة صموت واسعة العينين .. كانا معًا فيما يشبه البئر أو قبرًا عميقًا .. لكن هذا الشىء كان يهبط لأسفل باستمرار .. كانتا تريانه وهو يراهما لكنهما مستمرتان فى الهبوط .. تختفيان .. وهما تحت ، بينما هو فوق .. لا يوجد لوم فى عينيهما .. فقط الفهم لما يحدث .. عليهما الموت كى يعيش هو ..

لا يذكر فعلاً ما حدث بعدها ، لكنه يذكر فقط أنهما لقيتا حتفهما كى يعيش هو ..

إن ما نراه فى الأحلام يبقى منه شىء ما مهم فى عالم الواقع ، وقد أثار دهشة (ونستون) أنه تذكر أن موت أمه منذ ثلاثين عامًا كان أليمًا وغريبًا ..

إنه موت ينتمى إلى الطراز العتيق حين كانت هناك خصوصية وحب وصداقة ، حين كان أفراد الأسرة يتماسكون من دون حاجة لمعرفة السبب ..

أصدرت التليسكرين ضوضاء عالية فى موعد العمل ، فنهض من فراشه .. كان قد نام عاريًا لأن أعضاء الدائرة الخارجية للحزب يتلقون فقط 3000 كوبون للثياب فى العام ، بينما البيجامة تكلف 600 كوبون .

ارتدى ثيابه وكان يعرف أن (الاهتزازات الجسدية) ستبدأ بعد ثلاث دقائق .. هنا أصابته نوبة سعال تصيبه كلما صحا من النوم جعلت صدره يخلو من الهواء ، فلم يستعد أنفاسه إلا بعد ما رقد على الفراش بعض الوقت .

دوى صوت امرأة حاد يقول :

- « المجموعة من سن 30 إلى 40 .. خذ مكانك من فضلك .. »

نهض ووقف (انتباه) أمام التليسكرين ، حيث كانت امرأة شابة عجفاء لكنها مفتولة العضلات ، ترتدى التونيك وحذاءى التدريب .

- « ثنى .. مد .. تتبع حركتى .. واحد .. اثنان .. ثلاثة .. أربعة ! واحد .. اثنان .. ثلاثة .. أربعة ! هلموا يا رفاق ! بعض الحيوية .. »

مارس (ونستون) التمرينات راسمًا على وجهه تعبير السرور ، وهو التعبير المفضل فى حالات التدريب .

لم يكن فى وسعه تذكر وقت لم يكن فيه بلده فى حرب ما ، لكن من الجلى أنه كانت هناك فترة سلام ما حين كان طفلاً .. لأنه يذكر غارة جوية بدا أنها أثارت ذهول الجميع .. ربما كان هذا حين سقطت القنبلة الذرية على (كولشستر) .. لا يذكر الغارة لكنه يذكر يد أبيه التى تمسك بيده وهما يهرعان .. يهرعان إلى مكان تحت الأرض عبر درج حلزونى لا نهاية له .. حتى إنهما فى النهاية اضطرا للتوقف لالتقاط الأنفاس .. وأمه بحركتها البطيئة الحالمة تتبعهما بمسافة طويلة .. كانت تحمل أخته أو ربما مجموعة من الأغطية .. فى النهاية وجد أنهم فى مكان صاخب مزدحم ، عرف فيما بعد أنه محطة مترو الأنفاق .

منذ هذا الوقت استمرت الحرب بلا انقطاع .. وإن لم تكن ذات الحرب إن شئنا الدقة .. مثلاً يذكر أن (أوشيانيا) كانت فى حرب مع (إيستاسيا) ومتحالفة مع (أيوراسيا) .. هذا شىء يذكره بشكل غامض ..

أما الآن فـ (أوشيانيا) فى حرب مع (أيوراسيا) .. من ثم هى كانت دومًا فى حرب مع (أيوراسيا) .. إن عدو

اللحظة يمثل الشر المطلق دومًا .. ومعنى هذا أن أى اتفاق معه فى الماضى أو المستقبل شىء مستحيل ..

الشىء المفزع هنا أن الحزب قادر على أن يمحو شيئًا حدث فعلاً فى الماضى ، كأنه لم يكن قط .. هذه الفكرة كانت تفزعه أكثر من التعذيب والموت .. الحزب قال إنه لم يكن قط على وفاق مع (أيوراسيا) .. و(ونستون) يعرف جيدًا أن العلاقة كانت جيدة منذ أربع سنوات .. لكن أين توجد هذه المعلومة ؟ فى ذهنه هو .. ولو محيت هذه المعلومة من سجلات الحزب فإنها ستصير تاريخًا ..

مقولة الحزب تقول : ـ « من يسيطر على الماضى يسيطر على المستقبل .. ومن يسيطر على الحاضر يسيطر على الماضى .. »

كان هذا ما سيسمونه فى اللغة الجديدة « السيطرة على الحقيقة » أو « التفكير المزدوج .. »

وضع ذراعيه إلى جواره واستنشق الهواء بعمق .. بينما هو يفكر فى (التفكير المزدوج) .. أن تعرف الحقيقة لكنك لا تطلق إلا الأكاذيب .. أن تتمسك برأيين متناقضين فى الوقت ذاته وتصدقهما معًا .. أن تؤمن أن الديموقراطية وَهْمٌ وفى

الوقت ذاته تؤمن أن الحزب هو حارس الديموقراطية .. أن تملك الوعى الكافى كى تصل إلى حالة اللاوعى ، ثم تملك اللاوعى الكافى كى تنسى هذه العملية ..

إن مجرد فهم تعبير (تفكير مزدوج) يحتاج هو ذاته إلى تفكير مزدوج .

ومن جديد جاء صوت الفتاة :

ـ « فلنر من منا يمكنه أن يلمس أصابع قدميه ! هلموا يا رفاق .. »

مثلاً كتب الحزب تؤكد أن الحزب هو مخترع الطائرات .. هذا غير صحيح .. إنه يذكر الطائرات منذ طفولته ربما قبل نشوء الحزب .. لكن هذا لا يبرهن على شىء ، فليس هناك دليل فى يده .. لم ير فى حياته دليلاً لا يدحض على تزييف التاريخ إلا مرة واحدة وذلك حين ...

ـ « (سميث) !!! 6079 .. نعم أنت ! انحن أكثر .. فقط أنت لا تحاول .. هذا أفضل .. »

كان العرق يغمر جسد (ونستون) وغلبه السعال لكنه تماسك كى لا يظهر الضيق ..

لا تظهر الامتعاض أبدًا .. إن خائنة الأعين قد تفضحك ..

ـ « هلموا يا رفاق ! أنتم ترون أننى أؤدى ذلك جيدًا .. أنا فى التاسعة والثلاثين وعندى أربعة أطفال وبرغم هذا لا أثنى ركبتى .. كل من يقل عن الخامسة والأربعين يمكنه أن يلمس أصابع قدميه .. تذكروا أبناءنا فى جبهة (مالابار) والبحارة فى القلعة العائمة ! فكروا فى معاناتهم .. هذا أفضل !! »

كذا واصلت الكلام بينما نجح (ونستون) فى أن يلمس أصابع قدميه بيده ، دون أن يثنى ركبتيه للمرة الأولى منذ أعوام ..

★ ★ ★

الفصل الرابع

4

مطلقًا تلك التنهيدة العميقة التى لم تمنعها التليسكرين ذاتها لدى بدء يوم العمل ، جذب (ونستون) آلة الكلام المكتوب نحوه ، ونفخ الغبار عن مكبر الصوت فيها ، ووضع عويناته .. ثم نزع أربع اسطوانات من الورق من الأسطوانة على يمين مكتبه .

كانت هناك ثلاث فجوات فى المربع الذى يعمل فيه .. هناك فجوة للرسائل وفجوة للصحف وفجوة كبيرة للقمامة .. لسبب ما كانت هذه الفجوات المخصصة للقمامة تدعى (فتحات الذاكرة) . وقد بدأ يتفحص الأوراق التى انتزعها من فجوة الرسائل .. وكانت كلها مكتوبة باللغة الجديدة .. وكانت تحدد مقالات فى مجلة (تايمز) يجب تغييرها لسبب ما أو ـ كما تقول اللغة الجديدة ـ تقويمها .. فالرسالة التالية على سبيل المثال :

times 17.3.84 bb speech malreported africa rectify

معناها أن مجلة (تايمز) فى العدد السابع عشر من مارس قالت إن الأخ الأكبر تنبأ بأن جبهة الهند ستظل هادئة ، لكن (أيوراسيا) ستهجم على شمال إفريقيا .. أما ما حدث فهو أن (أيوراسيا) قامت بالهجوم على جبهة الهند وتركت شمال إفريقيا .. لهذا كان من الضرورى تعديل خطاب الأخ الأكبر بحيث يبدو أنه تنبأ فعلاً بما حدث .. بالنسبة للخطاب الثانى كان عليه تعديل ما نشرته (تايمز) بصدد التموين كى يتناسق مع كلام الحكومة .

الخطاب الثالث كان يقول :

times 14.2.84 miniplenty malquoted chocolate rectify

وكان معناه أن التايمز نشرت فى عدد 14 فبراير أن وزارة الوفرة وعدت بعدم إنقاص حصة الشيكولاته عام 1984 .. وكان عليه أن يُصَحِّحَ الخبر ليقول : إن الحكومة قد تضطر إلى خفض حصة الشيكولاته فى إبريل .

قام بالتصحيح وثبته إلى كل عدد من التايمز تم ذكره ، ثم لا شعوريًا كوم الرسائل وكل وريقة كتبها ، وألقى هذا كله فى فجوة المهملات .. ما إن تتم التصحيحات حتى يعاد طبع (التايمز) من جديد وتحفظ النسخة المصححة فى الملفات .. وهذا التعديل لا يشمل فقط المجلات بل الكتب

والمحاضرات والملصقات والصور .. يومًا بيوم يعاد تحديث الماضى .. كل نبوءة للحزب يمكن بالدليل إثبات أنها كانت صحيحة .. فمتى تم هذا صار من المستحيل إثبات العكس .. حتى الوزارة نفسها لم تزعم لحظة أن ما تقوم به تزوير ، وإنما هو (تصحيح طلبًا للدقة) .

لكنه لم يعتبر ما يقوم تزويرًا .. كان مجرد استبدال لبعض الهراء بهراء آخر .. فلا أحد يعبأ بما كانت عليه المعلومات الأساسية ولا أحد يذكرها .. كل شىء يدخل عالم الظلال حيث تصير معلومة (فى أى عام نحن) غير مؤكدة .

فى المربع المجاور كان هناك رجل يدعى (تلوتسون) .. كان يعمل باهتمام وقد ألصق فمه بمكبر الصوت ، وبدا كأنما يحاول إبقاء ما يقول سرًا بينه والتليسكرين .. نظر لأعلى فالتمعت عويناته ببريق معاد باتجاه (ونستون) .

لم يكن (ونستون) يعرف من هو (تولستون) .. إن الناس هنا لا يتبادلون الحوار .. مثلاً لم يكن يعرف إلا أن المرأة ذات الشعر بلون القش تحذف من الصحف أسماء الناس الذين تبخروا ، وبالتالى يجب افتراض أنهم لم يوجدوا قط .. وكان هناك رجل يجيد الشعر يقوم بإعادة كتابة الأشعار التى صارت سيئة ، لكنها لسبب أو آخر يجب أن تظل فى المقتطفات الأدبية .

ولم يكن هذا إلا قسم واحد ، بينما فى الطابق الأعلى

والأسفل عشرات العمال والمصورون وخبراء التحميض يقومون بتغيير الصور .. كان هناك من يغيرون الأفلام .. هناك الأفران حيث يتم تدمير النسخ الأصلية من كل شىء ..

وبرغم هذا كان قسم السجلات مجرد جزء من وزارة الحقيقة المسئولة عن إخراج كل فيلم وكتاب وجريدة وقصة .. من كتب التهجئة للأطفال إلى قواميس اللغة الجديدة الضخمة .. وكانت هناك أغان خاصة يتم تركيبها بجهاز ميكانيكى على إيقاعات معينة ، وكانت هناك أفلام سينمائية يتم تصويرها فى قسم (بورنوسك) .. وهى أفلام غارقة فى الجنس لا يسمح لأحد من الحزب بمشاهدتها وإنما تخرج للجمهور مباشرة .

كان عمل (ونستون) هو الشىء الوحيد الذى يحبه فى العالم ، صحيح أنه روتينى ، لكن من آن لآخر كانت هناك مهمات صعبة تجعله ينسى نفسه .. حيث لا شىء يرشدك إلا معرفتك بمبادئ الحزب وما يفترض منك أن تقوله .. لدرجة أنهم وثقوا به كى يصحح مقالات التايمز الافتتاحية التى كتبت كلها باللغة الجديدة .

كانت الرسالة التالية تقول :

times 3.12.83 reporting bb dayorder doubleplusungood refs unpersons rewrite fullwise upsub antefiling

وباللغة القديمة معناها : الكلام عن أوامر الأخ الأكبر اليومية فى عدد تايمز فى الثالث من ديسمبر 1983 غير مرض ، ويشير إلى أشخاص لا وجود لهم .. أعد الصياغة واعرض النتيجة على السلطات الأعلى .

قرأ (ونستون) المقال المتهم ، فوجد أن الخطاب مخصص لامتداح منظمة اسمها FFCC تمد القلعة العائمة بالتبغ .. ثمة رفيق يدعى (وزرس) وهو عضو بارز فى دوائر الحزب الداخلى تلقى مدحًا خاصًا ووسامًا .

بعد ثلاثة أشهر اختفت FFCC فجأة بلا أسباب . وتلطخ اسم (وزرس) ورفاقه بالعار لكن هذا لم يرد له ذكر فى الصحف .. إن الأشخاص الذين يتم اعتقالهم فى حملات التطهير بالتآمر أو جرائم التفكير لا يحاكمون علنًا .. فقط يحدث هذا نادرًا كل عامين ، لكنهم على الأرجح يختفون بلا تفسير .. وفى حالات كثيرة لا يموتون .. على الأقل يعرف هو ثلاثين شخصًا ـ باستثناء أبويه ـ اختفوا فى وقت أو آخر .. لا يعرف ما حدث لـ (وزرس) لكن عبارة unperson أى (لا شخص) تدل على أنه ميت حتمًا .

* * *

الفصل الخامس

5

فى المقصف خفيض السقف تحت الأرض ، تحرك طابور الغداء للأمام ببطء .. كانت الغرفة مليئة صاخبة .. ومن الكاونتر تصاعدت رائحة اليخنة لها طابع معنى مزعج .. وفى طرف الغرفة كان هناك بار صغير .. مجرد فتحة فى الجدار حيث يمكن شراء الجين بعشرة سنتات لبضع جرعات .

قال صوت خلف (ونستون) :

ـ « هذا هو الرجل الذى أبحث عنه .. »

استدار فرأى صديقه (سايم) ، الذى يعمل فى قسم البحوث .. ربما لم تكن (صديق) هى الكلمة المناسبة .. ليس لك أصدقاء فى هذه الأيام بل (رفاق) .. كان (سايم) مختصًا باللغة واللغة الجديدة .. بل كان واحدًا من فريق الخبراء الذى يطور الآن الطبعة الحادية عشرة من قاموس اللغة الجديدة .. وكانت له عينان تفتشان فى وجهك بعناية حين يكلمك .

ـ « أردت سؤالك إن كانت لديك شفرات موسى .. »

قال (ونستون) :

ـ « للأسف لا .. بحثت فى كل مكان .. لم يعد لها وجود .. »

الكل يسأل عن الشىء ذاته .. ففى كل وقت يوجد شىء ما لاتستطيع متاجر الحزب أن تقدمه .

تناول كلا الرجلين صينية ملوثة بالشحم من كومة عند بداية الصف .. وسأله (سايم) :

ـ « هل ذهبت لترى شنق السجين أمس ؟ »

ـ « كنت أعمل .. سأراه مصورًا على ما أعتقد .. »

ـ « هذا بديل غير مشبع .. »

وكانت عيناه الساخرتان تفتشان فى وجه (ونستون) كأنما تقولان : أنا أعرفك .. أفهمك .. أعرف لماذا لم تذهب لترى الشنق ..

كان (سايم) شديد الإخلاص للنظام .. يتحدث بحماسة عن الغارات على أرض العدو ، وعمليات اعتقال مجرمى الفكر ، وعمليات الشنق فى بدرون وزارة الحب ..

قال كأنما يتذكر شيئًا عذبًا :

ـ « كان شنقًا جيدًا .. أعتقد أن ربط القدمين معًا يفسد الأمر .. أحب أن أراهم يركلون .. ثم فى النهاية يخرج اللسان أزرق لامعًا .. هذا هو الجزء الذى يروق لى .. »

جاء دورهما .. كان الغداء عبارة عن سلطانية من اليخنة وكتلة خبز ومكعب من الجبن وقهوة (النصر) السوداء وقرص (سكارين) .

جلسا على منضدة معدنية فى طرف المقصف ، حيث سكب أحدهم بركة من اليخنة .. سائل قذر بدا كأنه القىء .. بدآ يأكلان وسأل (ونستون) :

ـ « كيف القاموس ؟ »

ـ « يتقدم ببطء .. أنا أعمل فى النعوت .. عمل خلاب .. »

ثم أمسك بالخبز وقال :

ـ « هذا القاموس هو الشكل النهائى للغة .. سيكون على أمثالك تعلم اللغة الجديدة بالكامل من جديد .. أنت تعتقد أننا نخترع كلمات جديدة .. بالعكس .. نحن ندمر الكلمات .. نمحوها .. هذا القاموس قد وصل إلى عظام اللغة الإنجليزية ذاتها .. »

ثم بدت عيناه حالمتين وقال :

ـ « جميل أن تدمر اللغة .. نحن لا ندمر المترادفات فقط بل ندمر الأضداد كذلك .. ما جدوى كلمة هى مجرد عكس الأخرى ؟ الكلمة تحوى عكسها فى الآن ذاته .. خذ مثلاً كلمة (جيد) .. ما جدوى كلمة (سيىء) ؟ (لاجيد) ستؤدى الغرض ذاته .. إنها هى العكس بالضبط فى حين أن كلمة (سيىء) لا تمنحك هذا .. ثم لو أردت ما هو أفضل من (جيد) فلماذا تستعمل مجموعة كلمات مثل (ممتاز) و(رائع) .. الخ ؟ إن لفظة (جيد أكثر) تؤدى الغرض .. و(جيد أكثران) تعطى المعنى أقوى .. فيما بعد لن تكون هناك كل هذه الكلمات .. ستكون هناك كلمتان تعبران عن كل شىء .. هل ترى الروعة ؟ هذه أفكار الأخ الأكبر .. »

ثم قال فى ضيق :

ـ « أنت لا تؤمن باللغة الجديدة يا (ونستون) .. حتى برغم أنك تستعملها فإنك تفكر باللغة القديمة .. نفس اللغة العتيقة بكل غموضها وعدم دقتها وظلال معانيها .. أنت لا تفهم جمال تدمير الكلمات .. هل تدرك أن اللغة الجديدة هى اللغة الوحيدة فى الكون التى ينقص عدد مفرداتها كل

عام ؟ ألا تفهم أن الهدف من اللغة الجديدة هو تقليل التفكير ؟ فى النهاية ستصير جريمة التفكير بلا وجود فعلى .. ألا يثير افتتانك أنه حوالى عام 2050 لن يكون هناك إنسان على الأرض يستطيع فهم المحادثة التى تدور بينى وبينك الآن ؟ »

ـ « ما عدا الـ ... »

ثم صمت ، لكن الآخر فهم على الفور ما كان يريد قوله :

ـ « البروليتاريا ليست كائنات بشرية .. عندما يأتى عام 2050 لن تكون هناك لغة جديدة ولن تكون هناك أعمال أدبية مثل (شكسبير) و(ملتون) .. سيكونان موجودين فى لغة جديدة .. حتى شعارات الحزب ستتغير .. كيف يكون عندك شعار مثل (الحرية عبودية) بينما لا يوجد معنى للحرية أصلاً ؟ سيتغير التفكير كله .. فى الواقع لن يكون ثمة تفكير .. الولاء هو عدم التفكير .. »

فكر (ونستون) باقتناع :

ـ « يومًا ما سيتبخر (سايم) .. فهو ذكى جدًا .. يرى بوضوح ويتكلم بوضوح .. الحزب سيتخلص منه .. هذا مكتوب على وجهه .. »

ثم نظر إلى أعلى وقال :

ـ « ها قد جاء آل (بارسون) .. »

كان شيء في كلامه له رنين (هؤلاء الحمقى) .. كان (بارسون) وهو جار (ونستون) فى المسكن .. رجلا متوسط البنية ، وبرغم أنه فى الخامسة والثلاثين فقد راح الشحم يتراكم على عنقه وحول خصره ، إلا أن حركته كانت سريعة صبيانية .. بل كان هو نفسه يعطى انطباعًا بطفل كبير الحجم .

حياهما بـ (مرحى مرحى) .. وجلس إلى المنضدة ورائحة عرق قوية تفوح منه .. كانت قدرته على العرق مذهلة .

ثم قال لـ (ونستون) :

ـ « أين المبلغ الذى كان عليك أن تدفعه لى ؟ »

ـ « أى مبلغ ؟ »

قالها (ونستون) وهو يتحسس ماله بشكل تلقائى .. لابد من اقتطاع نحو ربع راتبك من أجل الاشتراك التطوعى فى عدد من الأشياء العديدة .. عديدة إلى درجة أنه من المستحيل أن تتذكرها جميعًا .

ـ « من أجل (أسبوع الكراهية) .. صندوق الجهود الذاتية .. أنا أجمع المال لمربعنا السكنى .. سيكون لـ (فكتوريا مانشن) أكبر عدد من الأعلام فى الشارع .. أنت وعدتنى بدولارين .. »

قدم له (ونستون) دولارين متسخين فأخذهما (بارسون) ودونهما فى مفكرة بخط ردىء يميز قليلى الحظ من التعليم ..

ـ « بالمناسبة .. سمعت أن ابنى ضربك بالمقلاع .. ثق أننى ضربته من أجل ذلك .. »

ـ « أعتقد أنه كان متضايقًا لأنه لم يحضر الإعدام .. »

ـ « أعرف .. أعرف .. هما شيطانان مؤذيان .. لكن تكلم عن إخلاصهما للحزب .. إنهما لايتكلمان إلا عن الجواسيس والحرب .. هل تعرف ما زودوهما به ؟ سماعات أذن تتيح استراق السمع عبر الأبواب بدلاً من وضع الأذن على ثقب الباب ! مجرد لعبة لكنها تضعهما فى الطريق الصحيح ! هل تعرف ما فعلته الطفلة حين كانت فى رحلة مخيم ؟ لقد رأت رجلاً غريبًا فاقتفت أثره مع صديقتها ، ثم أبلغت عنه السلطات .. السبب هو أن حذاءه كان غريبًا لذا اعتقدت أنه جاسوس من الأعداء ، تَمَّ إلقاؤه هناك بالمظلة فى أرضنا .. ليس تفكيرًا سيئًا بالنسبة لطفلة فى الثامنة .. »

ـ « وماذا حدث للرجل ؟ »

ـ « آه .. لا أستطيع معرفة هذا .. لكن لن يدهشنى لو ... »

وقام بحركة توحى بالتصويب .. وطقطق بلسانه كأنما يعبر عن انفجار .

ـ « جميل .. »

قالها (سايم) فى اقتضاب، ودون أن يرفع عينيه عن الورق .. ووافق (ونستون) فى مرارة:

ـ «جميل .. الحقيقة نحن لا نملك ترف المجازفة ..»

هنا ـ وكأنما ليؤكد هذا ـ دوى صوت بوق من شاشة التليسكرين .. وصاح صوت متحمس شاب:

ـ «أيها الرفاق! انتباه! لدينا أخبار ممتازة لكم .. لقد فزنا بمعركة الإنتاج! إن النتائج تؤكد أن معدلات العيش قد ارتفعت ما لا يقل عن 20% عن العام الماضى .. وفى كل مكان من (أوشيانيا) هناك مظاهرات لا يمكن قمعها، حيث خرج العمال من المصانع يحملون لافتات الامتنان للأخ الأكبر .. وللحياة الوافرة الكريمة التى منحنا إياها .. وإليكم الأرقام ...»

لم يستطع (ونستون) الذى غلبه الملل أن يتابع الأرقام، لكنه كان يعرف أنها مجلبة للرضا ..

كانت هناك مظاهرات تشكر الأخ الأكبر على أنه رفع حصة الشيكولاتة 20 جرامًا .. وأمس فقط كان الخبر يقول إن حصة الشيكولاتة تم تخفيضها 20 جرامًا .. هل من الممكن أن يبتلع أحد هذا خلال أربع وعشرين ساعة فقط؟ نعم .. لقد ابتلعوه .. هل هو الكائن الوحيد الذى يملك ذاكرة فى هذا العالم؟

والإحصاءات تتدفق من التليسكرين .. هناك حسب الأرقام ثياب أكثر .. طعام أكثر .. كتب أكثر .. دخل أكثر .. كل شىء أكثر عدا الجريمة والجنون والمرض .. كل شىء يثب لأعلى بسرعة عامًا بعد عام.

وراح (ونستون) ينظر حوله إلى المقصف .. هل كانت الحياة دومًا تبدو هكذا؟ هل كان للطعام هذا المذاق؟ أطباق معوجة وجدران متسخة من كثرة الأجسام التى لمستها .. رائحة العرق والسقف المنخفض .. الكل قبيح، ولسوف يظل قبيحًا مهما لبس .. حتى لو استبدل الأوفرول الأزرق الذى يلبسه الجميع .. دائمًا تشعر بأنك خدعت .. حرمت من شىء كان من حقك.

لكن لو كنت تشعر باشمئزاز من مذاق الطعام الردىء والجوارب الملتصقة والثياب القذرة، فلابد أنك تملك فكرة عما هو جيد .. لابد أنك تذكر وقتًا ما كانت الأمور فيه مختلفة ..

قال (بارسون) وهو يهز رأسه بطريقة العليم بالأمور:

ـ «وزارة الوفرة أدت عملاً جيدًا بالتأكيد هذا العام .. بالمناسبة يا (سميث) أيها الفتى العجوز .. هل لديك شفرات حلاقة تعطينى إياها؟»

ـ «ولا واحدة .. أستعمل نفس الشفرة منذ ستة أسابيع ..»

كان (ونستون) يعرف أنه يومًا ما سيتبخر .. سيتبخر (سايم) .. لكن (بارسون) الرجل الغبى المناسب للحزب سيظل حيًّا هو وزوجته ..

هنا شعر بمن ينظر له بحدة .. كانت فتاة الحزب سوداء الشعر جالسة على المنضدة المجاورة، وكانت تنظر له بقوة، فلما رأت عينيه نظرت لبعيد .

شعر (ونستون) بالعرق يحتشد على ظهره .. لماذا تتبعه ؟ لماذا تراقبه ؟ لقد كانت خلفه فى (عرض المقت) من دون سبب يدعوها لذلك، ربما لتسمع ما يقول أو تتأكد من أنه يصرخ بالحماسة الكافيه ..

لا بد من أن تفضحك ملامحك حين يَشْرُد ذهنك .. لا بد من تعبير يَنِمُّ عن عدم التصديق مثلاً حين تسمع أخبار النصر من التليسكرين .. سيكون هذا ذنبًا كافيًا للعقاب .. يسمونه فى اللغة الجديدة (جريمة الوجه) ..

هنا أطلقت التليسكرين صفارة حادة .. كانت إشارة بالعودة للعمل ..

هنا نهض الرجال الثلاثة ليبدءوا البحث عن مكان فى طابور المصعد، وسقطت بقايا لفافة التبغ التى دسها (ونستون) فى جيبه .

★ ★ ★

الفصل السادس

6

كان (ونستون) يكتب فى مذكرته ..

كان راغبًا فى أن يصرخ بسيل من السباب بأعلى صوته .. يضرب رأسه فى الجدار .. يثب على المنضدة ويلقى بزجاجة الحبر من النافذة .. يفعل أى شىء صاخب كى يزيل الذكرى التى تعذبه .

أشد خطر عليك هو جهازك العصبى، وهو الذى سيدفعك يومًا ما إلى أن تفضح نفسك بحركة ما .. لقد قابل فى الشارع منذ أسابيع رجلاً عادى المظهر .. عضوًا فى الحزب عمره 35 عامًا .. كان يحمل حقيبة أوراق، وقد اقتربا إلى مسافة أمتار حين تقلص نصف وجه الرجل الأيسر .. مجرد انتفاضة كأنها غالق كاميرا، وقد فكر (ونستون) وقتها : هذا الشيطان البائس قد انتهى أمره ..

إن أخطر الأخطار قاطبة هو أن تتكلم فى نومك .. ولا شىء يحميك من ذلك .

تذكر (كاترين) زوجته .. لقد كان متزوجًا .. ربما ما زال متزوجًا على كل حال .. على قدر علمه لم تمت زوجته بعد ..

كان الزواج بين أعضاء الأحزاب يتم بموافقة لجنة .. واللجنة - وإن كان هذا قانونًا غير مكتوب - ترفض الزواج إذا أحست بأن بين طالبى الزواج نوعًا من الانجذاب أو المودة .. كانت الفكرة هى أن تخلو العلاقات الزوجية من أية مسرة أو محبة .. إن هدف الزواج فقط هو المجىء بأطفال لخدمة الحزب ، ولهذا السبب ينظر إلى الزواج باعتباره نشاطًا غير مستحب لكنه ضرورى .. هذه أشياء لم تكن تقال لكنها محسوسة ..

كانت هناك منظمات تطالب بالعزوبة التامة للرجال والنساء .. والأطفال يتم الحصول عليهم بالتلقيح الصناعى .

لقد عاش مع (كاترين) تسعة عشر شهرًا لا أكثر .. ومن الغريب أنه لم يعد يذكرها تقريبًا .. لقد انفصلا من دون أطفال منذ أحد عشر عامًا .. كانت (كاترين) فتاة فارعة القامة شقراء .. لها وجه جرىء له ملامح النسر .. وجه نبيل إلى أن تدرك أنه ما من نبل يكمن خلفه .

منذ بداية الزواج قرر - ربما فقط لأنه عرفها أكثر من باقى الناس - أنها صاحبة أغبى عقل قابله فى حياته ، والأكثر سوقية وخواء .

عقل لا يحوى إلا عبارات الحزب الدعائية حتى إنه دللها بلقب (شريط الصوت البشرى) .. وبدلاً من أن تكلمه عن الإنجاب كانت تحدثه عن (صنع طفل) أو (واجبنا نحو الحزب) ..

★ ★ ★

كتب (ونستون) :

- « لو كان هناك أمل فهو فى البروليتاريا .. »

البروليتاريا هى الأمل لأنه فقط فى هذه التجمعات البائسة التى تشكل 85% من تعداد (أوشيانيا) يمكن أن تولد الرغبة فى تدمير الحزب .. لا يمكن تدمير الحزب من الداخل .. لأن أعداءه من الداخل لا يعرف بعضهم البعض .. إن أعضاء الحزب تطيح بهم نظرة أو همسة .. بينما كل ما على البروليتاريا هو أن تهز نفسها .. تتحرر .. تصرخ ..

لن يثوروا إلا حين يستعيدون وعيهم .. ولن يستعيدوا وعيهم إلا حين يثورون ..

فى كتب الحزب هناك زعم أن الحزب هو من حرر البروليتاريا من العبودية .. كان الرجال يتضورون جوعًا ويجلدون ، والنساء مرغمات على العمل فى مناجم الفحم (والحقيقة أن النساء مازلن يعملن فى مناجم الفحم) ، والأطفال يباعون للمصانع فى سن السادسة .. لكن فى الوقت نفسه يقول كتاب الحزب إن البروليتاريا أقل من البشر ، ويجب أن يعامل أفرادها معاملة خاصة وضيعة .. لقد تُرك هؤلاء القوم لأنفسهم مثل الماشية .. يتكاثرون ويعملون .. يولدون فى الأزقة .. يذهبون للعمل فى السادسة .. يكبرون .. يتزوجون فى العشرين .. يشيخون فى الثلاثين .. يموتون .. كأنهم قطعان ماشية متروكة لشأنها فوق هضاب الأرجنتين .

من السهل التحكم فيهم ببعض الشائعات ، لكن لم يحاول أحد أن يلقنهم شيئًا عن مبادئ الحزب .. وكانت غضباتهم قصيرة وحميدة العواقب .. ربما بسبب ساعات عمل أطول أو تخفيض فى حصص الطعام ، لكن الشرور الأعظم لم تكن تمر بهم ، فليس بينهم من يملك تليسكرين .. باختصار كانوا تحت مستوى الشبهات .. وكما تقول تعليمات الحزب : البروليتاريا والحيوانات سواء ..

كان ما لا يفهمه هو التالى : إن مزايا تزوير الماضى واضحة لكن الدافع غير مفهوم .. أخرج قلمه وكتب :

ـ « أفهم كيف .. لكنى لا أفهم لماذا .. »

وخطر له أن الجنون قد يكون تفرد شخص واحد بفكرة عن الجميع .. هو وحده لا يفهم .. إذن هو مجنون .. لكن فكرة الجنون لا تضايقه .. ما يفزعه هو أن يكون مخطئًا ..

سوف يعلن الحزب يومًا ما أن اثنين واثنين تساوى خمسًا .. ولسوف يصدقه الجميع .. من المحتم أن يفعل هذا يومًا ما لأن واجبه يحتم هذا .. المشكلة أنهم قد يكونون محقين .. من أدراك أن المجموع ليس خمسًا ؟ أو أن قوة الجاذبية تعمل ؟ أو أن الماضى لا يتغير ؟

الحزب يأمرك بأن تتجاهل دليل العين والأذن .. هذا هو أمرهم الأخير .. وفكر فيما يمكن أن يجادله به عضو مثقف من الحزب .. الجدل الذى سيصبه عليه ولن يفهمه ، ولن يقدر على الرد عليه .

لكن برغم هذا هو محق .. هم مخطئون .. يجب الدفاع عن كل ما هو حقيقى وواضح وسخيف .. البديهيات حقيقة .. العلم المادى موجود .. وقوانينه لا تتغير .. الصخر صلب

والماء سائل ، وكل ما لا يوضع على شىء يسقط نحو مركز الأرض ..

وفى مفكرته كتب :

ـ « الحرية هى أن تجد الشجاعة كى تكتب أن اثنين زائد اثنين يساوى أربعًا .. وما بعد هذا سهل .. »

★ ★ ★

الفصل السابع

7

من مكان ما فى نهاية الممر ، تصاعدت رائحة القهوة .. القهوة الحقيقية لا قهوة (النصر) .. توقف (ونستون) لاشعوريًا .. لنحو ثانيتين عاد إلى عوالم الطفولة المنسية .. ثم دوى صوت باب فتلاشت الرائحة فجأة كأنما لم تكن رائحة بل هى صوت .

هذه هى المرة الثانية فى ثلاثة أسابيع التى يهمل فيها أمسية فى (مركز الجماعة) ..

هذا عمل أخرق لأنه من المؤكد أن عدد الحاضرين يتم التحقق منه . من المفترض أن عضو الحزب ليس لديه وقت فراغ ، ولا يكون وحده إلا حين ينام . من المفترض أنه حين لا يأكل أو يعمل أو ينام يشارك بشكل ما فى العمل الجماعى . أما أن تمارس أى عمل يوحى بالميل للوحدة ـ حتى لو كان المشى وحيدًا ـ فهو شىء خطر نوعًا .

لكن الليلة كان الهواء منعشًا والسماء أكثر زرقة مما هو معتاد ، لهذا وجد نفسه وقد ضاع بين شوارع (لندن) ..

« لو كان هناك أمل فهو فى البروليتاريا .. »

تذكر هذه الكلمات التى كتبها فى مذكراته .. الآن هو ضائع فيما كان يدعى قديمًا محطة (سانت بانكراس) .. شوارع قذرة تملؤها المياه .. ومن كل مكان يخرج الناس بأعداد هائلة .. فتيات ممتلئات نضارة وعلى شفاههن أحمر شفاه سخيف . نساء بدينات يمشين بصعوبة يرينك ما ستكونه الفتيات بعد عشر سنوات . أطفال حفاة يلعبون فى البرك ثم يتفرقون لدى صرخة غضبى من أمهاتهم ..

لم يكن أحد يوليه اهتمامًا كبيرًا .. ربما بعض نظرات الفضول لا أكثر ..

كانت امرأتان تتحدثان على الباب ، فلما مر بهما توقفتا عن الكلام ونظرتا له .. لم تكن نظرة خوف ، ولكن كما تنظر أنت إلى حيوان غريب . إن أوفرول الحزب الأزرق ليس من الأشياء التى يمكن أن تراها فى هذه الشوارع .

لو أن الدوريات رأتك لاستوقفتك .. هل لنا أن نرى أوراقك يارفيق ؟ هل هذا هو الطريق إلى دارك ؟ متى تركت عملك ؟

ليس السبب هنا أن المشى فى مكان ما محرم ، لكن حقيقة أن هذا التصرف قد يلفت نظر بوليس الأفكار فيما بعد .

فجأة دبت الحياة فى الشارع كله . ودوت صرخات الرعب من كل الأبواب .. خرجت امرأة من باب وأمسكت بطفل يلهو فى بركة ماء ، ولفت مريولتها حوله وعادت به .. فى اللحظة ذاتها ظهر رجل يلبس معطفًا كالأكورديون ، وجرى نحو (ونستون) وهو يشير للسماء فى لهفة :

- « بخارية ! بص فوق يا باشا ! قنبلة فوق!! ارقد بسرعة !! »

لسبب ما كانت البروليتاريا تطلق اسم (بخارية) على القنابل الصاروخية . وانبطح (ونستون) على وجهه . إن البروليتاريا محقون دومًا فى هذه الأمور ، كأنما لديهم حاسة سادسة تنذرهم قبل الصواريخ .

دوى زئير جعل الإفريز يرتج .. وتطايرت أشياء من فوقه وعلى ظهره .. وحين أفاق وجد أنه مغطى بالزجاج من نافذة قريبة .

لقد أبادت القنبلة مجموعة من البيوت على بعد 200 متر . دخان أسود يتصاعد ، وعلى الأرض تناثر القرميد بينما احتشد الناس . ووسط الحطام رأى شيئًا أحمر .. عرف أنها يد مبتورة عند الرسغ .. بيضاء تمامًا كأنما نحتت من الجبس .

ابتعد عن المشهد إلى حيث كانت حانة يؤمها العملاء .. ومن خلال أبوابها المتأرجحة كانت تهب روائح البول والنشارة والجعة الرديئة . كان هناك ثلاثة رجال يقفون متلاصقين يمسك أوسطهم بجريدة ، بينما يسترق الآخران النظر معه . من الواضح أنهم مندمجون تمامًا فى خبر مهم فى الجريدة . فما إن دنا حتى تفرق الجمع فبقى رجلان يتجادلان كأنهما سيتبادلان اللكمات :

ـ « مش قادر يا غبى تفهم أنا بقول إيه ؟ بقول لك إن مافيش رقم آخره سبعة كسب فى الأربعتاشر شهر الى فاتت .. »

ـ « حصل .. »

ـ « لا .. ما حصلش .. أنا دورت فى البيت على الأرقام الى كسبت فى سنتين .. ما فيش سبعات خالص .. »

ـ « حصل .. فى فبراير .. »

ـ « فبراير ده يبقى جدتك ! أنا بقى عارف الأرقام كلها .. كل حاجة واضحة .. »

كانوا يتكلمون عن اليانصيب .. اليانصيب بجوائزه الأسبوعية الهائلة هو المناسبة الرسمية الوحيدة التى يهتم بها أفراد البروليتاريا .. كان اليانصيب هو بهجتهم وحماقتهم ودواؤهم

المسكن . وكان هناك عدد لا بأس به من هؤلاء يعيش على بيع جداول الاحتمالات والنبوءات ..

كانت (وزارة الوفرة) هى من يدير هذا اليانصيب .. ولكنه كان يدرك ـ كأى فرد آخر فى الوزارة ـ أن الجوائز تخيلية . الجوائز الصغرى كانت حقيقية أما الأرقام الضخمة فكانت لأفراد لا وجود لهم . وكان من الصعب معرفة هذا مع عدم وجود اتصالات .

لكنه كان يؤمن بأن الخلاص سيأتى من البروليتاريا .. كلما نظر أكثر إلى هؤلاء البشر الحقيقيين ازداد إيمانًا بهذا ..

خرج من الحانة ومشى فى طريق متعرج .. هنا تذكر أين هو ..

إن الزقاق يقود إلى الشارع الرئيسى ، وعلى بعد خمس دقائق يوجد متجر العاديات الذى ابتاع منه الكتاب الخاوى الذى اتخذه مفكرة . ومن محل قريب ابتاع الريشة وزجاجة الحبر . كانت هناك حانة أخرى يدخلها رجل مسن ..

من المعتاد أن يكون أعضاء الحزب من الشباب .. لا يذكر أحدهم أى شىء قبل الثورة .. لكن هذا الرجل يذكر بالتأكيد ، ويعرف كيف كانت الأمور .. هل حقًا كان العالم أسوأ ؟

مسرعًا حتى لا يجد الوقت كى يخاف ، عبر الشارع . لم تكن هناك موانع صارمة تحرم الكلام مع البروليتاريا كالعادة ، لكنه عمل غير معتاد إلى حد أنه من الصعب أن يمر دون ملاحظة .

فتح الباب فشم رائحة الجعة الحادة .. دخل إلى الضجيج فهبطت الأصوات إلى نصف ارتفاعها . من وراء ظهره يشعر بالجميع يرمقون الأوفرول الأزرق . كان العجوز يقف إلى البار يثرثر مع الساقى .. بينما احتشد عدد من القوم والكئوس فى أيديهم يصغون للمحادثة .

قال العجوز وهو يفرد كتفيه مشاكسًا :

ـ « أنا باكلمك بالذوق .. بتقول إن مافيش عيار (مقدار) فى الخمارة القذرة دى ؟ »

مال الساقى على البار وسأل :

ـ « وإيه المقدار ده إن شاء اللّه ؟ »

ـ « شوفوا الراجل ده .. عامل لى بارمان ! وهو مش عارف يعنى إيه مقدار .. المقدار نص الربع .. فيه أربع ترباع فى الجالون .. لازم يعلموك ألف باء تانى .. »

قال الساقى :

ـ « عمرى ما سمعت عنه .. لتر أو نص لتر .. هو دا اللى بنبيعه .. »

ـ « لكن أنا عاوز مقدار .. ماكنش فيه اللترات الملعونة دى وأنا صغير .. »

قال الساقى وهو ينظر لمن حوله :

ـ « لما كنت انت صغير كنا احنا عايشين على الشجر .. »

دوى الضحك ، وتبخرت حالة عدم الراحة التى سببها دخول (ونستون) .. ابتعد العجوز محتقن الوجه فاصطدم بـ (ونستون) ، لكن و(نستون) امسك به من ذراعه :

ـ « هل لى أن أقدم لك مشروبًا ؟ »

ـ « إنت شكلك ابن ناس .. »

صب الساقى قدحين من الجعة سعة نصف لتر للواحد ، وبدا أن الكل نسى وجود (ونستون) . هناك منضدة يمكنه والعجوز أن يجلسا إليها للكلام دون أن يسمعهما أحد . هذا خطر لكنه لا توجد تليسكرين فى هذه الحانة .

قال العجوز :

ـ « كنت عاوز مقدار .. نص لتر ما يكفينيش .. واللتر كتير عليا .. بيخلى المثانة تتملى .. سيبك من التمن .. »

ـ « لابد أنك رأيت تغيرات كثيرة منذ كنت صغيرًا .. »

قال الرجل مفكرًا :

ـ « البيرة كانت أحسن .. وأرخص ! ده كان قبل الحرب طبعًا .. »

ـ « أى حرب ؟ »

قال العجوز فى غموض :

ـ « كل الحروب .. فى صحتك .. »

وفى حلقه الضيق ، راحت تفاحة آدم تأتى بحركة صعود وهبوط مفاجئة وفرغ القدح .. ذهب (ونستون) للبار وجلب قدحين آخرين ، فبدا أن العجوز نسى كلامه عن شرب لتر كامل ..

ـ « أنت أكبر منى سنًا بكثير .. لا بد أنك تذكر كيف كان الحال قبل الثورة .. كتب التاريخ تقول إنه قبل الحرب كانت الحياة مختلفة تمامًا .. أسوأ أنواع القمع والظلم والفقر ..

هنا فى لندن لم يكن الناس يجدون ما يكفى لغذائهم من المهد إلى اللحد .. نصفهم حفاة .. كانوا يعملون 12 ساعة يوميًا ويتركون المدارس فى سن التاسعة .. بينما كان الرأسماليون كما يلقبونهم أثرياء أقوياء يملكون كل شىء .. لدى الواحد منهم ثلاثون خادمًا .. ويركبون السيارات ، ويلبسون قبعات عالية »

ـ « قبعات عالية .. أنا لبست واحدة مرة .. كان ده فى جنازة أخت مراتى .. طبعًا كنت مأجرها .. »

ـ « كانوا سادة الأرض .. كانوا يفعلون بك ما يريدون .. يشحنونك كالماشية على مركب إلى كندا ، أو يأمرون بجلدك بسوط يدعى (القطة ذات الذيول السبعة) .. ويمشون وحولهم مجموعة من الخدم المتزلفين .. »

تحمس العجوز فجأة ..

ـ « (خدم متزلفون) !! دى كلمة ما سمعتهاش من زماااان .. »

ـ « ما أريد معرفته هو : هل تشعر بحرية أكثر مما كان فى تلك الأيام ؟ هل تعامل اليوم كإنسان أكثر مما كان فى الماضى ؟ هؤلاء القوم فى القمة .. هل كان عليك أن تناديهم بـ (سيدى) وتنحنى وتنزع القبعة حين يمرون ؟ »

شرب العجوز من القدح وبدا كأنما يفكر وقال :

ـ « أيوه .. لازم تلمس البرنيطة لما يعدوا . أنا مش مقتنع لكن عملتها كتير جدًا .. »

ـ « وكانوا حين يقابلونك على الإفريز يدفعونك إلى عرض الشارع ؟ »

ـ « حصلت مرة .. قابلت واحد من دول .. كان جنتلمان شيك بصحيح .. قاللى ليه ما توسعش .. قلت له ليه ؟ هو انت اشتريت الرصيف ؟ قال انا حاخلع راسك من مكانها .. قلت له انت باين عليك سكران .. راح مناولنى فى صدرى تقريبًا حدفنى تحت أتوبيس معدى .. كنت صغير وقتها وكنت حاديله واحدة فى وشه .. »

أصيب (ونستون) بخيبة أمل .. هذا الرجل لا يملك ذكريات إلا مجموعة من التفاصيل التافهة .. ربما أن التاريخ الذى يذكره الحزب هو الصحيح ..

ـ « أعنى .. هل كنت تختار حياتك الآن أم حياتك فى الماضى عام 1925 ؟ »

فكر الرجل قليلاً ثم قال :

ـ « أكيد مستنى أقولك الإجابة المعروفة .. إن أنا نفسى

أرجع شباب .. الحقيقة صحتى مش تمام .. ركبى بتوجعنى والمثانة كمان .. تلات مرات لدورة الميه بليل حاجة متعبة .. »

جلس (ونستون) جوار عتبة النافذة .. لا جدوى من الاستمرار . كان سيبتاع المزيد من الجعة ، حين نهض الرجل متوجهًا إلى المبولة . لقد بدأت الجعة تؤدى عملها .

جلس (ونستون) يتأمل قدحه الزجاجى الفارغ .. ولم يدر متى خرج إلى الشارع ثانية ..

خلال عشرين سنة سيكون سؤال (هل كانت الحياة أفضل أم أسوأ قبل الثورة ؟) قد غاب عن الوجود نهائيًا ، ولن يجاب عنه إلى الأبد . لكنه الآن لن يجاب كذلك ، لأن القادرين على إجابته لا يستطيعون مقارنة عهد بعهد آخر . هم يتذكرون مليون شىء بلا قيمة . مشاجرة مع صديق .. البحث عن منفاخ دراجة .. التعبير على وجه الأخت المتوفاة .. لكن الحقائق المهمة خارج مجال إدراكهم .. هم كالنمل الذى يرى الصغائر ولا يرى الكبائر ..

وحين تضعف الذاكرة تدريجيًا ، تصير ادعاءات الحزب بصدد تحسن معدلات الحياة مقبولة جدًا . لأنه ببساطة لم يعد هناك ولن يوجد أبدًا مستوى آخر للحياة تمكن المقارنة به .

فى هذه اللحظة توقف قطار أفكاره ..

كان فى شارع ضيق ، به متاجر صغيرة مظلمة . وتذكر المكان على الفور .. هذا متجر العاديات الذى اشترى منه المفكرة ..

وشعر بالخوف .. كان من الحمق أن يبتاع الكتاب من البداية ، وقد أقسم ألا يدنو من المكان ثانية . بمجرد أن غرق فى التفكير حملته قدماه بإرادتها الخاصة إلى هذا المكان ..

لاحظ أنه برغم أن الساعة التاسعة مساء فإن المتجر كان مغلقًا . ولما شعر بأنه سيكون أقل وضوحًا فى الداخل أكثر منه من الخارج ، فقد دخل . ولو ضبطه أحدهم سيزعم أنه كان يبحث عن أمواس حلاقة .

كان صاحب المحل قد أشعل مصباحًا زيتيًا يبعث رائحة غير نظيفة لكنها ودود .

كان رجلاً فى الستين ، نحيلاً منحنى الظهر ، له عينان طيبتان تخبئهما عوينات سميكة . وكانت عويناته وسترته القديمة مما يوحى بأنه مثقف إلى درجة ما . كأنه رجل يعمل فى الأدب أو ربما موسيقى . ولهجته أقل تشوهًا من لغات باقى البروليتاريا .

قال على الفور :

- « تعرفتك على الإفريز .. أنت من ابتاع كتاب تذكارات السيدة الشابة .. ورق جميل .. ورق كريم كما ندعوه نحن لم يعد هناك ورق كهذا منذ .. فلنقل خمسين عامًا .. »

ثم نظر إلى (ونستون) من فوق إطار عويناته وقال :

- « هل هنك ما أقدمه لك ؟ أم فقط تريد أن تبحث عن شىء ؟ »

- « كنت أجول فقط .. لا أريد شيئًا خاصًا .. »

- « هذا يسرنى لأنه كما ترى الوضع .. المتجر خال .. إن تجارة العاديات تعيش أيامها الأخيرة .. لا مشتر ولا بضاعة .. لقد حطموا الصينى والزجاج وأذابوا المعدن .. لم أر حامل شمعة نحاسيًا منذ أعوام .. »

بالفعل كان المتجر فقيرًا جدًا خاليًا من أية بضائع ، ماعدا بعض المهملات .. لكن عينى (ونستون) وقعتا على شىء أملس فى ضوء المصباح ، فالتقطه .

كانت كتلة من الزجاج محنية فى أحد طرفيها ، تبدو كأنها القبة . كانت ناعمة كأنها ماء المطر سواء من ناحية اللون أو الملمس . وفى قلبها كان شىء ملفوفًا كأنه زهرة أو شقائق النعمان . فقال (ونستون) بانبهار :

- « ما هذا ؟ »

قال الرجل :

ـ « هذا مرجان .. لابد أنه جاء من المحيط الهندى .. كانوا يغمسونه فى الزجاج .. لايقل عمره عن مائة عام .. »

ـ « هذا جميل .. »

قال الرجل وهو يسعل :

ـ « ما دمت تقول إنه راق لك ، فلسوف يكلفك أربعة دولارات .. أذكر حين كان ثمن هذا ثمانية جنيهات .. لا أعرف كم كان يساوى هذا لكنه كان الكثير من المال .. لكن من يبالى بالعاديات اليوم ؟ »

على الفور دفع (ونستون) أربعة دولارات ، ودس الشىء فى جيبه . وكان ما أثار إعجابه ليس جمال القطعة بل ما توحى به من انتماء لزمن مختلف . الزجاج ليس كأى زجاج رآه من قبل . لابد أنه كان ثقلاً للورق فى زمن ما .. إنه ثقيل جدًا لكنه لا يحدث انتفاخًا .. من المريب بالنسبة لعضو فى الحزب أن يحمل شيئًا كهذا .. كل ما هو قديم .. وبالتالى كل ما هو جميل لابد أن يثير الريبة ..

كان الرجل مسرورًا بالدولارات الأربعة .. وأدرك (ونستون) أنه كان سيقبل دولارين أو حتى يقبل دولارًا واحدًا ..

قال له :

ـ « هناك المزيد فى حجرة أخرى .. دعنا نرها بالمصباح .. »

وتقدمه عبر درجات متهالكة فى ممر ضيق . ولاحظ (ونستون) أن الغرفة التى دخلاها ما زالت مرتبة الأثاث كأنما تم إعدادها للمعيشة فيها . هناك بساط على الأرض وشيزلونج جوار المدفأة .. ساعة عتيقة تدق فوق حاجز المدفأة .. وتحت النافذة كان فراش هائل عليه مرتبته .

قال العجوز :

ـ « عشت هنا حتى ماتت امرأتى .. وأنا أبيع الأثاث قطعة قطعة .. هذا فراش جميل من (الماهوجنى) .. أو سيكون كذلك لو أنك استطعت تنظيفه من البق .. »

برغم فقر المكان فإنه كان يبدو رحبًا .. وخطر لـ (ونستون) أنه يستطيع استئجار المكان ببضعة دولارات أسبوعيًا فقط لو أنه جسر على ذلك .. فكرة مجنونة تخلى عنها بسرعة ..

لكن الغرفة كانت تحيى فيه ذكرى عذبة جميلة .. كأنما سبق له أن جلس فى غرفة كهذه .. فى شيزلونج وجوار مدفأة .. لا صوت يثرثر ولا أحد يراقبك .. فقط صوت براد الشاى ودقات الساعة الودود .

لم يقاوم الرغبة فى الغمغمة :

ـ « لاتوجد هنا تليسكرين ! »

قال العجوز :

ـ « آه .. لم تكن عندى قط .. غالية جدًا .. لم أحتج لها على كل حال .. »

أما الكتب الموجودة فكانت هراء .. يبدو أنه من المستحيل فى (أوشيانيا) كلها أن تجد كتابًا تم طبعه قبل عام 1960 .. حتى فى أوساط البروليتاريا ..

كانت هناك صورة لكاتدرائية .. فقال الرجل باسمًا :

ـ « فيما مضى كانوا يقولون لنا إن أجراس كل كنيسة تقول عبارة منغمة ما .. (برتقال وليمون) .. هذا ما تقوله أجراس (سانت كليمنز) .. أجراس (سانت مارتين) تقول : أنت مدين لى بثلاثة أرباع البنس ! »

راح يثرثر مع العجوز الذى لم يكن اسمه (ويكس) .. وكان قد افترض أن هذا اسمه من اللافتة على المتجر . لكن كان اسمه (تشارنجتون) .. مستر (تشارنجتون) .. كان أرمل فى الستين يعيش فى هذا المتجر منذ ثلاثين عامًا . وكان

طيلة الوقت يرغب فى استبدال الاسم على الواجهة لكنه لم يفعل قط .

(برتقال وليمون) .. هذا ما تقوله أجراس (سانت كليمنت) .. أنت مدين لى بثلاثة أرباع البنس) .. هذا ما تقوله أجراس (سانت مارتين) . هذا غريب ..

لكنك تعرف أنك تذكر أجراس (لندن) .. (لندن) مفقودة ضاعت منك ، لكنها موجودة فى مكان ما .. منسية متنكرة .. لكنه على قدر ما يعرف عن نفسه لم يسمع قط صوت أجراس كنيسة فى حياته .

ترك الرجل وابتعد محاولاً ألايراه هذا وهو يستطلع الشارع أولاً قبل ان يخرج من الباب . لقد قرر أن يمنح نفسه فترة .. لتكن شهرًا .. قبل أن يخاطر ويعود إلى هذا المتجر . إن المخاطرة هنا أن يعود بعد شراء كراس الخواطر ، من دون أن يتأكد مما إذا كان صاحب المتجر جديرًا بالثقة !

نعم سيعود .. سيبتاع صورة كنيسة (سانت كليمنز) وينزعها من إطارها ، ويعود بها لداره مخفية تحت ثيابه ، فجأة تجمد قلبه وسالت أحشاؤه .. هناك من هو قادم من بعيد فوق الإفريز .

كانت تلك الفتاة من قسم الخيال . الفتاة ذات الشعر الأسود . برغم الضوء الخابى استطاع أن يراها بوضوح . وقد مشت بلامبالاة كأنها لم تره قط .

للحظات شعر كأنه مشلول .. اتجه إلى اليمين ومشى غير مدرك للحظة أنه يمشى فى الاتجاه الخطأ . على كل حال لقد انتهى الأمر .

لا يوجد شك فى أنها تتجسس عليه . لا يمكن أن تكون الصدفة قادتها فى هذه الأمسية بالذات إلى المشى فى نفس الشارع ، على بعد مربعات سكنية عديدة من أى موضع يعيش فيه رجال الحزب . لا فارق هنا بين أن تكون من شرطة الأفكار أو أن تكون جاسوسًا هاويًا بحركة الفضول . يكفى أنها تراقبه . ربما رأته يدخل الحانة كذلك .

كان من الصعب أن يمشى .. إن ثقل الزجاج فى جيبه يضرب فخذه مع كل خطوة . الأسوأ كان الألم فى معدته . إنه يشعر بأنه سيموت لو لم يجد دورة مياه . لكن من العسير أن يجد دورة عمومية فى هذه المنطقة . ثم ولى التقلص تاركا شعورًا بالثقل .

كان الشارع زقاقًا مسدودًا ، فتوقف (ونستون) عاجزًا عن معرفة ما يجب عمله . ثم قرر أن يرجع القهقرى وخطر له أن الفتاة مرت به منذ ثلاث دقائق ، فلربما يستطيع اللحاق بها .

سوف يلحق بها فى هذا الركن الهادئ ، ويهشم رأسها بحجر . ربما يصلح ثقل الزجاج فى جيبه لهذا . لكنه عدل عن الفكرة لأن فكرة القيام بأى مجهود عضلى بدت له لا تطاق . ليس بوسعه الجرى ولا توجيه ضربة . فكر كذلك فى العودة لاجتماع الحزب ليمضى الليل هناك ، وبهذا يكون عنده دليل نفى . لكن الوقت تأخر عن هذا .. كل ما يمكن عمله هو العودة للبيت والجلوس هادئا .

عاد لشقته عند منتصف الليل .

كانت الأنوار تطفأ فى الحادية عشرة والنصف . اتجه لركنه المنفرد وأخرج المفكرة من الدرج . لكنه لم يفتحها على الفور . كان هناك صوت أنثى من التليسكرين تغنى أغنية وطنية . جلس يحدق فى غلاف الكتاب ذى لون الرخام ، محاولاً إبعاد الصوت عن وعيه .

إنهم يأتون ليلاً ليقبضوا عليك .. دومًا ليلاً .. الصواب هو أن تقتل نفسك قبل أن يقبضوا عليك .. غالبًا هناك من يفعل هذا .. لا بد أن أكثر الاختفاءات هى فى الحقيقة انتحار . لكن الانتحار يحتاج لشجاعة هائلة فى عالم لا يمكن الحصول فيه على سلاح نارى أو سم سريع .

لشد ما يخذلك جسدك حين تحتاج إليه .. كان بوسعه قتل الفتاة ذات الشعر الأسود لو تصرف بسرعة . فى لحظات الخطر لا يكافح المرء ضد عدو خارجى ولكن ضد جسده هو .

فى المعركة وفى غرفة التعذيب وفى قارب يغرق ، تتلاشى كل المبادئ التى تكافح من أجلها .. يصير الجسد هو الشىء الأعظم الذى يملأ الكون . كأن الحياة كفاح دقيقة بدقيقة ضد الجوع أو البرد أو الأرق .. كفاح ضد معدة يملؤها الحمض أو ضرس يتألم ..

فتح المفكرة .. كان عليه أن يدون شيئًا .. كان صوت المرأة على الشاشة يلتصق بمخه كأنه قطع مهشمة من الزجاج . حاول أن يفكر فى (أوبرايان) الذى من أجله كتبت المفكرة .. لكن بدلاً من هذا راح يفكر فى الأمور التى ستحدث له حين يعتقله رجال شرطة الأفكار .

لا يهم لو قتلوك فورًا .. المهم أنهم قبل القتل (لا أحد يتكلم عن هذه الأشياء لكن الجميع يعرفها) .. لابد من أن يحصلوا على اعتراف .. الزحف على الأرض والصراخ طلبًا للرحمة .. صوت العظام المهشمة والأسنان المكسرة والشعر المتجلط بالدم .

لم تتحمل هذا ما دامت النهاية محتومة ؟ لا أحد يفلت من الضبط .. ولا أحد يعجز عن الاعتراف ..

متى اتهموك بجريمة الفكر فمن المُحتَّم أن تموت فى تاريخ معين .. فلماذا يظل ذلك الرعب الذى لا يجديك نفعًا ؟

حاول بجهد أكبر أن يستحضر صورة (أوبرايان) ..

ـ « سوف نلتقى حيث لا يوجد ظلام » .. إنه يعرف معنى هذا .. المكان الذى لا ظلام فيه هو المستقبل التخيلى الذى لن يراه المرء أبدًا ..

لكن ذلك الصوت من الشاشة يحطم أعصابه فلا يقدر على استجماع أفكاره ..

وضع لفافة تبغ فى فمه ، فسقط نصف التبغ على لسانه .. غبار مر يصعب ان تبصقه . ووثب وجه الأخ الأكبر إلى ذهنه ثانية مستبدلاً صورة (أوبرايان) . الوجه الواثق الحامى المسيطر .. لكن أية كلمات خبيثة يداريها تحت شاربه :

الحرب هى السلام

الحرب هى العبودية

الجهل هو القوة

* * *

الفصل الثامن

8

كان هذا منتصف النهار ، وقد ترك (ونستون) غرفته ليذهب إلى الحمام .

كان هناك شخص قادم إليه من نهاية الردهة ساطعة الإضاءة . إنها الفتاة ذات الشعر الأسود .. لقد مرت أربعة أيام منذ تلك الليلة التى قابلها فيها خارج متجر العاديات . إذ دنا أكثر ، رأى أن يدها اليمنى كانت معلقة فى رباط .. لم يتعرفها لأن الرباط كان بلون الأوفرول . لابد أنها حطمت ذراعها وهى تحرك إحدى المشكالات (كاليدوسكوب) العملاقة حيث يتم تأليف القصص . كان هذا الحدث يقع كثيرًا فى قسم الخيال .

كانا على مسافة أربعة أمتار حين تعثرت الفتاة وكادت تسقط علي وجهها . دوت صرخة ألم منها ، فلابد أنها سقطت فعلاً على ذراعها ..

نهضت على ركبتيها ، ووجهها شاحب ، بينما فمها أكثر احمرارًا من المعتاد . وثبتت عينيها عليه وفيهما نوع من الاستعطاف .. أقرب إلى الخوف منها إلى الألم .

. تحرك شعور غريب فى قلب (ونستون) . فأمامه العدو الذى كان يحاول قتله . لكنه كذلك كائن حى يتألم .. لقد تحرك غريزيًا ليعينها .. وكأنه شعر بالألم فى جسده هو ..

- « هل تأذيت ؟ »

- « لا شىء .. ذراعى .. سأكون بخير خلال ثانية .. »

ومدت ذراعها الحرة له .. فعاونها .. استرجعت بعض لونها وبدت أفضل .

- « شكرًا يا رفيق .. »

ثم واصلت طريقها كأنما لم يقع شىء ..

كانت عادة ألا تظهر مشاعرك على وجهك ، قد تحولت إلى غريزة .. بالإضافة إلى أنهما كانا يقفان أمام تلسكرين حيث حدث ما حدث .. لكن كان من العسير ألا تبدو على الوجه لمحة دهشة .. لأنه بينما كان يساعد الفتاة ولثانيتين وضعت شيئًا ما فى يده . لا شك فى أنها فعلت ذلك عمدًا .. كان شيئًا صغيرًا مسطحًا .. وقد دسته فى يده وهو يقصد باب الحمام .. كان قطعة من ورق طويت على شكل مربع ..

إذ وقف على المبولة حاول أن يفتح الشىء .. لابد أنها رسالة ما .. وقد شعر بإغراء كى يأخذها إلى إحدى دورات المياه ليطالعها ، لكن هذه ستكون حماقة .. ليس هناك مكان تراقبك فيه التليسكرين أكثر من هنا ..

عاد ليعمل ودس الورقة بين باقى الأوراق .. وراح قلبه يتواثب إلى حلقه .. ومن حسن حظه أن العمل الذى كان ينتظره روتينى .. لا يحتاج إلى تركيز طويل ..

هناك احتمالان على قدر علمه .. أولاً أن تكون الفتاة تعمل لدى شرطة الأفكار كما خاف .. ربما كان المكتوب فى الورقة استدعاء أو تهديدًا .. أو أمرًا بالانتحار ..

لكن هناك احتمالاً آخر أكثر توحشًا لم يستطع التخلص منه ..

ربما جاءت هذه المذكرة من منظمة ما تعمل تحت الأرض .. ربما الأخوّة نفسها .. ربما الفتاة عضو فيها !! هى فكرة غريبة لكنها جالت بذهنه ..

وبرغم أن ذكاءه قال له إن المذكرة تعنى الموت ، لكنه لم يؤمن بهذا .. وقد قاوم حتى استطاع أن يبقى صوته متماسكًا .. إذ أمسك بمكبر الصوت ليملى تصحيحاته ..

انتهى من عمله فألقاه فى الفجوة ، وقد مرت ثمان دقائق .. أصلح من وضع العوينات على أنفه ثم تناول مجموعة الأعمال التالية .. والقصاصة فوقها .. كانت مكتوبة بخط كبير ردىء :

أنا أحبك .

لثوان شعر بذهول عارم .. فلم يستطع إلقاء دليل الإدانة هذا فى فتحة المخلفات .. وحين فعل هذا لم يقاوم أن يعيد قراءته ثانية كى يتأكد من أن الكلمات ما زالت هناك .

كان العمل شاقًا بقية الصباح ..

الأصعب كان أن عليه إخفاء علامات التوتر من على وجهه .. كأن النار تشتعل فى معدته .

الغداء فى المقصف المزدحم الحار نوع من العذاب .. وتمنى لو ينعم بالوحدة ، لكن النحس قاد له (بارسون) المعتوه ليجلس بجواره .. رائحة عرقه الكريهة تقهر رائحة اليخنة ، وقد راح يثرثر عن أسبوع المقت .

كان متحمسًا بصدد نموذج عجينة الورق الذى سيصنعه لرأس الأخ الأكبر ، واتساعه متران ..

والأسوأ أن الضوضاء كانت تحجب كلمات (بارسون) لهذا كان (ونستون) يستوثق مما يقول من حين لآخر .. وذات مرة رأى الفتاة فى ركن القاعة جالسة مع فتاتين أخريين . بدا أنها لم تره ولم ينظر هو باتجاهها ثانية ..

بعد الظهر كان عليه عمل دقيق .. هو تزييف مجموعة من أرقام الإنتاج بحيث يخفى اسم أحد أعضاء الدائرة

الداخلية ، وهو اسم كان ساطعًا والآن تغطيه سحابة كثيفة .

ولمدة ساعتين نجح فى أن يبعد الفتاة عن ذهنه . إنه بحاجة إلى أن يكون وحده ، لكن ما زال وقت يفصله عن هذا .. إن لديه موعدًا الليلة فى مركز الاجتماع .

وهكذا هرع إلى الاجتماع السخيف ، ولعب مباراتين من البنج بونج ، وشرب بعض الجين .. كانت روحه تتعذب بالملل .. كان خائفًا وقد أشعرته كلمات (أنا أحبك) بالهلع .. أيقظت فيه الرغبة فى البقاء حيًّا ..

فى النهاية فى الحادية عشرة مساء ، كان فى الفراش والظلام .. آمنًا من التليسكرين .. هنا فقط يمكنك أن تفكر على راحتك ..

كانت مشكلة لابد من حلها .. كيف تقابل الفتاة ؟ لقد كف عن التفكير فى أنها تقوده إلى ورطة ما .. لقد كان ارتباكها واضحًا لاتخطئه العين .. لقد أفقدها الرعب صوابها وهى تناوله الورقة .

منذ أيام كان يفكر فى تهشيم رأسها بحجر ، لكن هذا انتهى الآن .

لكن الخوف كل الخوف أن تغير رأيها لو لم يتصل بها بسرعة . وكيف يلقاها ؟ هذا صعب جدًا .. كأنك تحاول تحريك قطعك فى الشطرنج بينما أنت فى وضع (كش مات) .. إن التليسكرين فى كل صوب ..

لقد فكر فى كل الطرق الممكنة للقائها .. وهو الآن يتفحص الاحتمالات واحدًا تلو الآخر ، كأنما يرص أدواته على منضدة .

بالطبع اللقاء الذى تم اليوم لن يتكرر .. هو لايعرف أين تقع إدارة الخيال فى المبنى وليس لديه ما يبرر الذهاب هناك .

ربما لو عرف أين تسكن ومتى تغادر العمل لرتب طريقة للقائها ، لكن هذا خطر لأنه يعنى أنه يتسكع خارج الوزارة لسبب مريب .

لو أرسل لها خطابًا فهذا أمر منته لأن الروتين - وهو ليس سرًّا - يقضى بفتح جميع المراسلات .. فى الحقيقة كان القليلون يكتبون خطابات . كانت هناك بطاقات على ظهرها عبارات عديدة ، فكل ما عليك هو أن تضع علامة أمام العبارة المناسبة .

ثم إنه لايعرف اسم الفتاة فضلاً عن عنوانها . فى النهاية قرر أن أكثر مكان أمنًا كان المقصف .. لو استطاع لقاءها فى منتصف القاعة بعيدًا عن التليسكرين ؟ وحدها ؟ والضوضاء تجعل كلامهما غير مسموع .. ربما لو أتيحت هذه الظروف ثلاثين ثانية لأمكن تبادل كلمات سريعة ..

لكنه لم يستطع لقاءها فى المقصف .. لم تظهر حتى دوى صفير العودة للعمل ..

فى اليوم الثانى كانت مع ثلاث فتيات وتحت التليسكرين بالضبط ..

ثم لم تظهر لمدة ثلاثة أيام .. وقد جعل هذا روحه وجسده يكسبان درجة غير معقولة من الشفافية والحساسية ، جعلت كل صوت أو حركة أو همسة نوعًا لا يطاق من التعذيب له .

لربما بخروها .. لربما انتحرت .. لربما نقلوها إلى الجزء الآخر من (أوشيانيا) .. أبسط الاحتمالات هو أنها غيرت رأيها وقررت أن تتحاشاه ..

فى اليوم التالى ظهرت .. لم تكن يدها معلقة ، لكن ضمادة كانت تحيط بمعصمها . لم يستطع السيطرة على نفسه فظل ينظر لها بضع ثوان . وكانت جالسة بعيدًا عن الحائط وحدها .

كان الصف يتحرك ببطء لكن ما إن بلغ (ونستون) الكاونتر حتى توقف لأن رجلاً كان يتشاجر لأنه لم ينل قرصه من السكارين .

الآن حمل الصينية واتجه نحو الفتاة .. مشى نحوها كأنما الأمر غير متعمد .. وكأنه يبحث عن منضدة ما .. إنها على بعد ثلاثة أمتار .. ثانيتان ويصل لها .. هنا دوى صوت من خلفه :

ـ « (سميث) !! »

تظاهر بأنه لم يسمع .. لكن الصوت دوى أعلى :

ـ « (سميث) ! »

الآن صار من المستحيل التجاهل .. كان رجلاً سخيفًا أشقر الشعر اسمه (ويلشار) لا يكاد يعرفه ، لكنه يدعوه مبتسمًا إلى مكان خال بجواره . كان من المخاطرة أن يرفض .

جلس مبتسمًا مواجهًا الوجه السخيف .. وتخيل (ونستون) نفسه يمسك بفأس ويهشم الوجه بالضبط فى منتصفه .

وبعد دقائق امتلأت منضدة الفتاة . على الأقل هى قد رأته فلابد أنها فهمت الإشارة .

فى اليوم التالى جاء مبكرًا ..

كانت على نفس المنضدة وحدها من جديد .. وكان الرجل الذى أمامه فى الصف نحيلاً سريع الحركة ، فما إن استدار (ونستون) حتى رأى أن الرجل يتجه إلى منضدة الفتاة ..

ذبلت آماله ثانية .. لكنه قدر أن الرجل يعنى بنفسه ولسوف يختار منضدة خالية .. شعر بالثلج يكسو قلبه .. لن تكون من جدوى إلا لو كانت الفتاة وحدها ..

هنا دوى صوت ارتطام .. صار الرجل الصغير على أربع ، بعد أن وقع وطارت الصينية . نهض وهو يرمق (ونستون) بنظرة شريرة كأنما يعتقد أنه من جعله يتعثر .

وبعد خمس ثوان كان (ونستون) يجلس إلى منضدة الفتاة وقلبه يدق كالرعد .

لم ينظر لها .. لقد راح يأكل وهو يدرك أن الكلام الآن مهم قبل أن يأتى شخص آخر . لكن رعبًا هائلاً استبد به .

لقد مر أسبوع .. فلابد أنها غيرت رأيها .. بالتأكيد غيرت رأيها !

ولربما كان سيصمت لو لم ير (أمبلفورث) .. الشاعر الذى يكسو الشعر أذنيه .. يبحث فى القاعة عن منضدة يجلس إليها . كان يحب (ونستون) وبالتأكيد سيختار هذه المنضدة .. هناك دقيقة للعمل ..

كانا يأكلان يخنة من الفاصوليا هى أقرب إلى السائل ، وبصوت مغمغم بدأ (ونستون) يتكلم .. لم ينظر أحدهما للآخر .. راحا يرشفان السائل ويتبادلان كلمات بصوت غير معبر :

ـ « متى تتركين العمل ؟ »

ـ « السادسة والنصف .. »

ـ « وأين نلتقى ؟ »

ـ « ميدان النصر .. قرب النصب التذكارى .. »

ـ « ملىء بالتليسكرينات .. »

ـ « لا يهم ما دام هناك زحام .. »

ـ « وهل من علامة ؟ »

ـ « لا .. لكن لا تأت لى حتى ترانى بين حشد من الناس .. ولا تنظر لى .. فقط ابق بقربى .. »

لم ير (أمبلفورث) (ونستون) واختار منضدة أخرى . وهكذا واصل الاثنان طعامهما .. فرغت الفتاة فنهضت بينما بقى (ونستون) يدخن .

* * *

وصل إلى ميدان النصر قبل الوقت المحدد . وقف عند قاعدة التمثال للأخ الأكبر .

بعد خمس دقائق من تمام الساعة لم تظهر الفتاة . وشعر بالرعب .. لقد غيرت رأيها !!

مشى إلى الطرف الشمالى من الميدان ، وسره أن رأى كنيسة (سانت مارتن) التى كانت أجراسها ـ حين كانت لها أجراس ـ تقول : أنت مدين لى بثلاثة أرباع ..

ثم رأى الفتاة تقف عند قاعدة النصب ، تقرأ أو تتظاهر

بقراءة ملصق .. كان من الخطرِ الدنو منها لأن التليسكرين فى كل مكان .. لكنه سمع صراخًا .. وبدا أن الجميع يركض فى كل صوب ..

اقترب أكثر فسمع من يقول : إن قافلة من أسرى (أيوراسيا) تمر ..

على الفور ظهرت كتلة سميكة من الناس شمالى الميدان .. ووجد (ونستون) نفسه ، هو الذى اعتاد أن يكون عند أطراف أى زحام ، وقد راح يشق طريقه إلى القلب مباشرة .

أخيرًا صار على مسافة ذراع من الفتاة ، لكن بينه وبينها بروليتارى عملاق وامرأة ضخمة هى على الأرجح زوجته ، يشكلان جدارًا لا يمكن اختراقه من اللحم .

حشر نفسه بقوة بين الردفين العملاقين ، وفى النهاية وجد نفسه يقف ملاصقًا للفتاة وكلاهما ينظر إلى الزحام أمامه .

كان طابور طويل من الشاحنات يحرسه حراس ذوو وجوه خشبية . وفى الشاحنات رجال صفر الوجوه نحيلو الأجساد يجلسون متلاصقين . وجوههم المنغولية الحزينة تنظر من جوانب الشاحنات بلا تعبير . فقط حين يرتطمون بالشاحنة كنت تسمع صوت (كلانك كلانك) لأن الرجال كانوا مكبلى الأقدام بأصفاد حديدية .

كان (ونستون) يعرف أنهم هناك ، لكنه كان يراهم بشكل متقطع .

كانت الفتاة مسيطرة على روعها كما فعلت فى المقصف . بدأت تتحدث بصوت خال من التعبير وشفتاها شبه ملتصقتين . مجرد غمغمة تضيع وسط الصخب .

ـ « هل تسمعنى ؟ »

ـ « نعم .. »

ـ « هل تستطيع أخذ إجازة عصر الأحد ؟ »

ـ « نعم .. »

ـ « إذن أصغ جيدًا .. يجب أن تتذكر هذا .. ستذهب إلى محطة (بادنجتون) .. »

وبدقة عسكرية راحت تصف له مساره .. نصف ساعة بالقطار .. منحنى إلى شمال المحطة .. بوابة أحد قضبانها مفقود .. ممر عبر مرج .. زقاق نما العشب فيه .. ممر بين الأشجار .. شجرة ميتة يكسوها الطحلب .. كأنما هناك خارطة فى رأسها ..

ـ « هل تستطيع تذكر هذا كله ؟ »

ـ « نعم .. متى ؟ »

ـ « الثالثة بعد الظهر .. ربما انتظرت .. سآتى من طريق آخر . »

ـ « نعم .. »

ـ « الآن ابتعد عنى بسرعة .. »

لكن هذا لم يكن سهلاً بسبب الزحام .. كان الناس يراقبون الشاحنات .. فى البداية كان هناك صفير و(بوووو) .. ثم تلاشى .. الحقيقة أن العاطفة المسيطرة كانت الفضول ..

إن الأجانب هم دومًا نوع من الحيوانات الغريبة .. لا تراهم حرفيًا إلا كسجناء .. ولا تراهم ثانية ولا تعرف مصيرهم ما عدا القلائل الذين يشنقون كمجرمى حرب . الآخرون يختفون على الأرجح فى معسكرات العمل الجبرى . الآن ظهرت وجوه أوروبية متسخة ملتحية منهكة . إن القافلة تقترب الآن من نهايتها ..

وفى العربة الأخيرة رأى رجلاً مسنًا رمادى الشعر .

كان بوسعه أن يرحل الآن لكن الفتاة مدت يدها إلى يده فى الزحام وضغطت عليها ضغطة سريعة .

لم يستغرق هذا أكثر من عشر ثوان لكنها بدت دهرًا ، حتى إنه حفظ كل تفاصيل يدها . وخطر له أنه من الغريب أنه لا يعرف لون عينى الفتاة بعد .

ربما كانتا بنيتين .. لكن الناس ذوى الشعر الأسود تكون عيونهم زرقاء أحيانًا . لكن من الحمق أن يدير رأسه لها ليتحقق .

كان ينظر أمامه .. وبدلاً من عينى الفتاة كان يرى عينى السجين المسن تطلان عليه وسط الشعر الرمادى .

* * *

الفصل التاسع

9

مشى (ونستون) عبر الزقاق وسط الظلال . وعلى اليسار كانت الأرض رطبة تغطيها زهور السوسن . بدا كأنما الهواء يلثم جلدك . كان هذا اليوم الثانى من مايو . ومن مكان ما من قلب الدغل كان صوت هديل الحمام .

كان الوقت مبكرًا .. لكن رحلته كانت سهلة . ليس الريف أكثر أمنًا من قلب لندن . لا توجد تليسكرين طبعًا لكن هناك مكبرات الصوت المخفية التى قد تلتقط صوتك وتحلله .. ثم إنك تلفت النظر حين تجول فى الريف وحدك . لا داعى لحمل جواز السفر فى المسافات التى تقل عن 100 كم ، لكن أحيانًا تكون هناك دوريات فى محطات القطار ، وهم يفحصون الأوراق ويسألون أسئلة مربكة .

نظر حوله ليتأكد من أن أحدًا لا يراقبه .. وكان القطار مليئًا بالبروليتاريا فى ثياب صيفية .. والعربة بالذات ذات المقاعد الخشبية التى يركبها ، كانت مزدحمة بأسرة واحدة .. تتكون من الجدة عديمة الأسنان إلى رضيع عمره شهر .. والكل ذاهب

لقضاء العطلة مع الأصهار فى الريف ، بالإضافة إلى شراء بعض الزبد من السوق السوداء كما شرحوا بصراحة لـ (ونستون) .

مشى فى الممر الذى وصفته له ..

زهور السوسن تحت قدميه كثيفة إلى حد أنه من المستحيل ألا تدوسها . ركع ليجمع بعضها لتمضية الوقت . وكذلك تلبية لشعور غامض أنه يجب أن يقدم لها بعضها حين تظهر .

كان يشم الرائحة حين تجمد لدى سماع صوت من وراء ظهره .. الخطى التى لا تخطئها الأذن فوق الغصينات . واصل جمع الزهور .. فهذا خير ما يمكن عمله .. لربما كانت هذه الفتاة ، ولربما كان هناك من يقفو أثره .. معنى الاستدارة أن يبدو مذنبًا ..

هنا هوت يد على كتفه .

نظر لأعلى فرأى الفتاة .. كانت تهز رأسها بإشارة واضحة تدل على أن عليه أن يبقى صامتًا ..

ثم إنها راحت تشق طريقها بين الأحراش فاتحة طريقًا .. واضح أنها مشت هنا من قبل لأنها تتحاشى الأماكن الموحلة كأنما هى عادة ..

راح يتبعها وهو ما زال يمسك بالورد شاعرًا بالراحة فى البدء .. لكنه بدأ يشعر بالتضاؤل .. لو أنها استدارت ونظرت له لتخلت عنه ..

إن شمس مايو جعلته يشعر بأنه إنسان متسخ معدوم العافية .. مخلوق من مخلوقات الغرف المغلقة .. يملأ سخام (لندن) كل ثغرات جلده .. وهى لم تره قط فى مكان مفتوح فى ضوء الشمس ..

أخيرًا وصلا إلى الشجرة التى تكلمت عنها . أزاحت الشجيرات فوجد أنهما فى مكان خال من الشجيرات معزول بالكامل .

قالت له :

- « هانحن ذان .. »

ثم أردفت :

- « لم أتكلم فى الزقاق خشية أن يكون هناك مكبر صوت .. لا أحسب أن هناك واحدًا لكن هذا ممكن .. ثمة فرصة دائمة فى أن يتعرف أحد الخنازير صوتك .. نحن هنا فى أمان .. »

كرر فى غباء :

- « نحن هنا فى أمان ؟ »

- « نعم .. انظر إلى الأشجار .. ليست بينها واحدة تصلح لإخفاء مكبر صوت .. »

كانت بقايا أشجار تم قطعها ثم تبرعمت من جديد ، صانعة غابة من العيدان ليس من بينها ما يزيد على قطر معصمك ..

قال لها :

- « هل تصدقين أننى حتى هذه اللحظة لا أعرف لون عينيك ؟ »

ولاحظ أنهما بنيتان .. ظل خفيف من البنى مع أهداب داكنة ..

- « والآن أنت ترينني .. فهل مازلت تتحملين النظر لى ؟ »

- « نعم .. بسهولة .. »

- « أنا فى التاسعة والثلاثين .. لى زوجة لم أستطع الانفصال عنها .. عندى دوال فى ساقى .. عندى أسنان مستعارة .. »

قالت الفتاة :

- « لا يهمنى هذا .. »

كان ما يشعر به هو عدم التصديق والفخر .. لقد أثار جمالها وشبابها خوفه ..

ـ « ما اسمك ؟ »

ـ « (جوليا) .. أنا أعرف اسمك .. (ونستون) .. (سميث) .. »

ـ « كيف عرفت هذا ؟ »

ـ « لقد تبين أننى أعرف الأمور أفضل منك يا عزيزى . قل لى .. كيف كنت تفكر فىّ قبل أن أعطيك الرسالة ؟ »

لم يشعر برغبة فى أن يكذب عليها .. بل قرر أن يحكى لها الأسوأ على سبيل طلب مودتها ..

قال لها :

ـ « كنت أكرهك .. أردت أن أقتلك .. منذ أسبوعين فكرت فى تهشيم رأسك بحجر .. لقد اعتقدت أن لك علاقة ما بشرطة الأفكار .. »

ضحكت فى سرور ، وقد اعتبرت هذا تقديرًا لروعة تنكرها ..

ـ « ليست شرطة الأفكار .. لا تقل إن هذا فعلاً خطر لك .. »

ـ « ليس هذا بالضبط .. لكن من منظرك العام .. ربما لأنك صغيرة السن حسنة الصحة نضرة .. أنت تفهمين .. حسبت هذا .. »

ـ « حسبت أننىعضو مخلص فى الحزب .. نقية فى كلامها وعملها .. لافتات .. مواكب .. عبارات دعائية .. ألعاب .. مخيمات .. وحسبت أننى سأبلغ عنك كمجرم أفكار وأسبب قتلك ؟ »

ـ « نعم .. شىء من هذا القبيل .. فتيات كثيرات من هذا الطراز وأنت تعرفين هذا .. »

قالت :

ـ « هذا الشىء اللعين هو السبب .. »

وانتزعت نطاق (رابطة أعداء الزواج) الذى ترتديه وطوحت

به بعيدًا .. ثم كأنما تذكرت شيئًا ، بحثت فى جيبها وأخرجت لوحًا من الشيكولاتة .. هشمته إلى نصفين وأعطت أحدهما لـ (ونستون) ..

وحتى قبل أن يتذوقها أدرك أنها نوع خاص جدًا من الشيكولاتة .. سوداء لامعة ملفوفة بالورق الفضى .. إن شيكولاتة الحزب بنية سهلة التفتت لها مذاق الدخان المتصاعد من حرق القمامة ، كما وصفها أحدهم ..

لكنه فى وقت ما تذوق شيكولاتة كالتى تقدمها له الآن ..

رائحتها أعادت له ذكرى معينة لا يعرف ما هى لكنها قوية مؤلمة ..

سألها :

- « من أين جئت بهذه ؟ »

قالت بلا مبالاة :

- « السوق السوداء .. الحقيقة أننى من هذا الطراز من الفتيات .. ألعب الألعاب .. كنت قائدة مجموعة فى الجواسيس .. أقوم بالعمل التطوعى لـ (رابطة أعداء الزواج) .. أحمل

اللافتات فى المواكب .. أصرخ مع الآخرين .. هذا هو السبيل الوحيد كى تكون فى مأمن .. »

كانت أول قطعة من الشيكولاتة قد ذابت فى فم (ونستون) .. لكن كانت الذكرى تتحرك على حدود وعيه .. كأنها شىء يتحرك خارج مجال رؤيته ..

قال لها :

- « أنت صغيرة السن جدًا .. أنت أصغر منى بعشرة أو خمسة عشر عامًا .. ماذا يجذبك فى رجل مثلى ؟ »

- « شىء فى وجهك .. وقررت أن أجازف .. أنا بارعة فى العثور على الأشخاص الذين لا ينتمون .. ما إن رأيتك حتى عرفت أنك ضدهم .. »

(هم) هذه تعنى الحزب كما هو واضح .. تعنى الدائرة الداخلية للحزب .. كانت تتكلم عنهم بحقد صريح جعله يشعر بالتوتر .. برغم أنه يعرف أنه آمن هنا لو كان هناك مكان آمن فى العالم .

ما أثار دهشته هو خشونة لغتها .

من المفترض أن أعضاء الحزب لا يسبون .. كان من الجلى أنها عاجزة عن الكلام عن الحزب من دون أن تستعمل اللغة المستعملة فى الأزقة ..

لم يكره هذا .. كان علامة على كرهها للحزب ، وبشكل ما بدا له هذا صحيًا كأنها عطسة الحصان الذى يشم تبنًا رديئًا .

كانا الآن يمشيان فى ظلال الأشجار . لا يرفعان صوتهما عن مستوى الهمس .

قالت له حين بلغا المكان بين الأشجار :

- « لا تخرج لمكان مفتوح .. قد يكون هناك من يراقب .. نحن آمنان إن بقينا خلف الشجيرات .. »

ضوء الشمس كان يرشح عبر الأوراق التى لا حصر لها . ونظر (ونستون) إلى الحقل وراءها فشعر بصدمة من الألفة ..

كان يعرفه .. هذا مرعى يمر به طريق .. وتلال صغيرة صنعتها الخلدان .. لابد أن هناك فى موضع ما بركة صغيرة خضراء اللون تسبح فيها الأسماك ؟

همس لها :

- « أليس هناك مجرى ماء قرب هذا المكان ؟ »

- « بلى . هناك مجرى ماء .. وفيه سمك كبير الحجم .. يمكنك أن تراه على القاع وهو يحرك ذيله .. »

غمغم :

- « هذا هو البلد الذهبى »

- « البلد الذهبى ؟ »

- « لا شىء .. ذكرى رأيتها فى حلم »

همست له :

- « انظر ؟ »

كان طير مغرد قد هبط على غصن شجرة دان منهما ، ولم يلحظهما .. فرد جناحيه وأعادهما لمكانهما بعناية .. ثم راح ينشد أغنية جميلة .. متنوعة لا تكرر نفسها أبدًا .. كأن الطائر يستعرض براعته ..

ترى لمن يغنى الطائر ؟

لماذا يجلس هنا ويصب ألحانه للا أحد ؟

لربما كان الطير يغنى لمكبر صوت فى مكان ما ؟

بدا كأن غناء الطائر مادة سائلة تتدفق من حوله وتغلفه .. مثلها مثل ضوء الشمس ..

كان (ونستون) يحلم بفساد الحزب .. بتحلله .. كم أن هذا جميل .. لو أنه استطاع أن يصيب الحزب كله بالجذام لكان هذا رائعًا .. دع هذا الكيان العفن يتهاوى ..

اليوم لا توجد عاطفة واحدة نقية ، لأن المقت والخوف يغلفان كل شىء ..

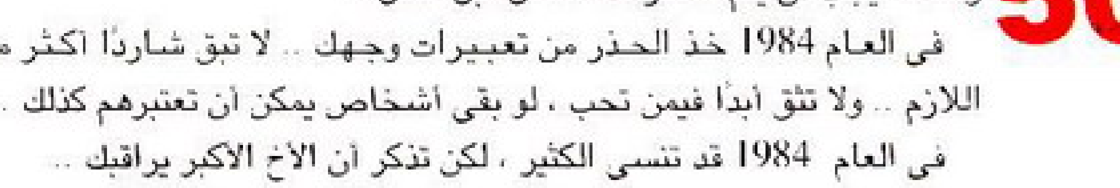
لكن لقاءهما هنا صفعة موجهة للحزب .. إنه ليس لقاء بين حبيبين .. إنه عمل سياسى ..

نهاية الجزء الأول

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

روايات عالمية للجيب

1984
(الجزء الأول)



فى العـام 1984 لا يمكنك أن تكون وحـيدًا فى أى مكان .. حتى التفكير مخاطرة داهمة لأن شرطة الأفكار تبحث عن المفكرين ، وتعرف كيف تجدهم .. وعندها يجب أن يتم الاعتراف الكامل قبل القتل ..

50

فى العام 1984 خذ الحذر من تعبيرات وجهك .. لا تبق شاردًا أكثر من اللازم .. ولا تثق أبدًا فيمن تحب ، لو بقي أشخاص يمكن أن تعتبرهم كذلك ..

فى العام 1984 قد تنسى الكثير ، لكن تذكر أن الأخ الأكبر يراقبك ..





العدد القادم

1984 (الجزء الثانى)

الثمن فى مصر ٢٥٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم